أصول بيت المال في عُمان

وأثرها الحضاري في عهد دولة البوسعيد

تأليف
الشيخ أحمد بن سعود السيابي
أمين عام مكتب الإفتاء/سلطنة عمان

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
ص.ب ١٢١ الرمز البريدي ٢٠٠ سلطنة عمان

أصول بيت المال في عُمان

وأثرها الحضاري في عهد دولة البوسعيد

جميع حقوق الطبع مَحفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨ م

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون أخذ إذن خطي من الناشر

رقم الإيداع

٢٠١٨/٥٦٤٠

نشر وتوزيع

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٤٦٦٩

t.k.aldhamri@gmail.com

ص ب: ٢ السيب. الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عُمان

أصول بيت المال في عُمان

وأثرها الحضاري في عهد دولة البوسعيد

تأليف

الشيخ أحمد بن سعود السيابي

نشر وتوزيع

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٦٦٩

t.k.aldhamri@gmail.com

ص ب: ٢ السيب. الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عُمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه...

أما بعد:

فإن بيت المال معلم بارز من معالم الحضارة الإسلامية، وضرورة أملتها الظروف المالية للدولة الإسلامية، حيث يشكل الإطار المالي للدولة، فهو الرئة التي تتنفس منها الدولة قوة وضعفاً، كما أنه إطار مهم في البناء الهيكلي للدولة.

فقد ارتبط نشؤه بوجود المال في الدولة الإسلامية، بدءاً من عهد النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، حيث كان الفيء من أموال بني النضير هو النواة الأولى لنشأة بيت المال في الإسلام، تلك الأموال التي لم يوجف المسلمون عليها من خيل ولا ركاب، وإنما كانت فيئاً أفاءه الله لرسوله خاصة ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر:٦]، كما كانت الأموال التي ترد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تضم أيضاً

إلى بيت المال، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقسم الأموال التي ترد عليه في يومه ذلك، ويدخر شيئاً منها في داره لوقت الحاجة.

واستمرت الحال على ذلك على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ.

ونتيجة لتوسع الفتوحات الإسلامية على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وما صاحب ذلك من انهيال الأموال إلى عاصمة الإسلام ودار الخلافة – المدينة المنورة – كان لابد من تطوير وتوسيع بيت المال، فتم إنشاء ديوان العطاء بجانب إنشاء الدواوين الأخرى ضمن خطة التطوير الإداري والمالي التي شهدها عصر هذا الخليفة الراشد.

وعُمان باعتبارها دخلت الإسلام، أو دخل الإسلام إليها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد وجد فيها بيت المال منذ ذلك الوقت، حيث كان يتكون بيت المال من أمرين:

أحدهما: الزكاة التي كانت تؤخذ من الأغنياء وتصرف في الفقراء وغيرهم من مصارف الزكاة المنصوص عليها في الآية رقم (٦٠) من سورة التوبة.

وثانيهما: الأموال التي تركها الفرس الذين كانوا موجودين في عُمان آنذاك عندما رفضوا الدخول في الإسلام وحاربهم العُمانيون وأخرجوهم من عُمان، وصارت أموالهم العقارية من بيوت ومزارع صافية لبيت المال.

وهكذا تكونت أصول بيت المال في عُمان، ثم أخذت تلك الأصول في التوسع عبر المراحل التاريخية.

ويأتي اختياري لدراسة أصول بيت المال في عُمان وأثرها الحضاري لثلاثة أسباب:

السبب الأول:

هو أن أصول بيت المال في عُمان كانت الرافد المالي الأساسي والمهم للدولة في عُمان عبر مراحلها التاريخية، وقد اعتمدت الدول التي تعاقبت في الحكم عليها أي على تلك الأصول والأعيان التي كانت ممتلكات لبيت المال، أيما اعتماد، دخلاً وإنفاقاً، وتكمن أهمية أصول بيت المال في عُمان، وبالتالي أهمية دراستها، في أن تلك الأصول لا تزال باقية حية، قائمة على أصولها، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فهناك الأسواق، وهناك مزارع النخيل الباسقة بطلعها النضيد، والأشجار والفواكه بأثمارها اليانعة، كما أن هنالك الأراضي الزراعية بمزروعاتها ذات الحب الحصيد. إن هذه الأصول كانت تمثل عصب الاقتصاد للدولة في عُمان قبل ظهور النفط، فقد كانت تؤدي دورها الحيوي الحضاري، تربوياً، واقتصادياً، واجتماعياً، بجانب الزكاة، ودخل الجمارك.

على أنه تبرز أهمية هذه الدراسة لكون أصول بيت المال في عُمان باقية حية حتى يومنا هذا، ويجدر أن نشير بالذكر إلى أنه لا توجد في بلاد أخرى غير عُمان أصول – عقار وأراض – باقية لبيت المال، فقد انقرضت منها منذ زمن بعيد.

السبب الثاني:

هو أن موضوع أصول بيت المال لم يكتب فيه أحد حتى الآن بل أنه – حسب علمي– لم يكتب في موضوع بيت المال في الإسلام بصفة عامة، سوى كتاب واحد، هو (بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري)، للمؤلفة العراقية خوله شاكر، وقد طبع بمطابع وزارة الأوقاف العراقية عام ١٩٧٦ م.

وإذا كان هنالك من كتابات أو دراسات حول هذا الموضوع فإني لم أطلع عليها.

نعم ظهرت دراسات حول مالية الدولة، وأخرى حول مالية الدولة في الإسلام، بيد أن تلك الدراسات يغلب عليها الطابع الاقتصادي، أو التحليل المالي، حيث أنها تتناول موازنات الدول من حيث الإيرادات والمصروفات.

أما رسالتنا هذه، فهي في الإطار الحضاري في ضوء التكييف الفقهي.

السبب الثالث:

هو الأثر الحضاري الذي تركته أصول بيت المال في عُمان، من حيث تهيئة فرص عمل لشريحة واسعة من المجتمع العُماني عبر الحقب التاريخية، منذ نشأة بيت المال، وغرس القيم التربوية المادية عند أفراد من المجتمع العُماني من ذوي الفقر والمسكنة، أو من ذوي العاهات، أو الذين يعصف بهم الدهر بنكباته.

ولقد كانت الصعوبات بالنسبة إلى هذا البحث تتجلى في صعوبة الحصول على المصادر في هذا الموضوع. فقد كانت المصادر نادرة، والنصوص شحيحة، الأمر الذي نتج عنه هو صعوبة الحصول على المعلومات التي تتعلق بأصول بيت المال في عُمان، وقد كنت أعتصر النص اعتصاراً، وإنما كانت المعالجة أو التغلب – إن صح التعبير – على هذه الصعوبات هي بطرح التساؤلات، وكذلك الاستنتاجات من تلك النصوص كما يلاحظها القارئ أثناء قراءته للبحث.

والمنهجية التي سرت عليها، هي المنهج الوصفي الاستقرائي، حيث كنت أتتبع الروايات والأقوال لاستنتج من ذلك النتيجة المطلوبة، معتمداً الجمع بين تلك الروايات والأقوال، على طريقة المحدثين حيناً القائلة، إذا أمكن

الجمع لا يصار إلى الترجيح. والطريقة العلمية المعاصرة حيناً آخر القائلة أنه لابد من الترجيح، وذلك حسب ما يقتضيه المقام ويقتضيه السياق.

أما أهم المصادر التي اعتمدت عليها، بعد القرآن الكريم، وكتب الحديث النبوي الشريف فهي كتب فقهية، واقتصادية، وتاريخية، وحضارية، وأهمها:

أولاً: الكتب الفقهية

١) كتاب المصنف: لأحمد بن عبد الله الكندي، ت (٥٧٠ هـ)، وهو كتاب فقهي موسوعي (مطبوع) يتناول فقه المذهب الإباضي وفقه المذاهب السنية الأربعة، والفقه الظاهري ويقع في (٤٢) جزءاً.

٢) كتاب الجامع: لمؤلفه أبي محمد ابن بركة (ق ٤ هـ / ١٠ م) (مطبوع) في مجلدين، وهو في أصول الفقه وفروعه.

٣) شرح النيل وشفاء العليل: ومؤلفه محمد بن يوسف أطفيش ت (١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م) (مطبوع) يقع في (١٧) مجلداً، ويتناول فقه المذاهب الإسلامية لا سيما فقه المذهب المالكي بجانب المذهب الإباضي.

٤) فتح الجليل: من أجوبة الإمام أبي خليل (مطبوع) مجلد واحد، ويضم مجموعة من رسائل وأجوبة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي ت (١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م).

ثانياً: الكتب الاقتصادية

١) كتاب الأموال: لأبي عبيد قاسم بن سلام ت (٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م)، والكتاب يتناول نشأة وتكوين بيت المال في الإسلام، وقد ركز الكتاب على أراضي السواد، وما رآه عمر بن الخطاب من جعلها وقفاً لا يقسم، لتكون فيئاً مستمراً لأبناء المهاجرين والأنصار وللأجيال التي تأتي بعدهم.

٢) كتاب الخراج: لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم ت (١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م)، وقد وضعه مؤلفه للخليفة العباسي هارون الرشيد يجيب فيه المؤلف على تساؤلات الخليفة حول أراضي الخراج بصفة عامة، وأراضي السواد بصفة خاصة، والحكم الشرعي حيالها، مع أمور أخرى تتعلق بالسياسة الشرعية.

٣) الأحكام السلطانية: ومؤلفه علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، والكتاب يتناول أموال بيت المال، في سياق السياسة الشرعية.

٤) الخراج والنظم المالية: لمؤلفه محمد ضياء الريس (معاصر)، ويبحث في النظم المالية، والخراج في الدولة الإسلامية.

ثالثاً: الكتب التاريخية

١) تحفة الأعيان: لمؤلفه عبد الله بن حميد السالمي (١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م).

٢) الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين: لحميد بن محمد بن رزيق ت (١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٤ م)، ويتناول تاريخ عُمان منذ عهدها الجاهلي، وحتى سنة (١٢٧٣ هـ) مركزاً على تاريخ دولة البوسعيد منذ عهد الإمام أحمد بن سعيد وحتى عهد السلطان سعيد بن سلطان.

٣) نهضة الأعيان: لمؤلفه محمد بن عبد الله السالمي، ويتناول فيه مؤلفه تاريخ الإمامين سالم بن راشد الخروصي ومحمد بن عبد الله الخليلي من (١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م) وحتى (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) مع تراجم لبعض علماء هذه الفترة.

رابعاً: الكتب الحضارية

١ – موسوعة الحضارة الإسلامية: للدكتور أحمد شلبي (معاصر) ويقع الكتاب في عشرة أجزاء، ويتناول جوانب الحضارة الإسلامية.

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي كان الاعتماد عليها في هذه الدراسة، وكانت الصعوبة في هذه المصادر كامنة في كون المعلومات المتعلقة بالبحث متفرقة ومتناثرة هنا وهناك.

على أنه مما ينبغي التنبيه إليه هو أنني قد اعتمدت عند إيراد الآيات القرآنية في ثنايا هذه البحث على قراءة حفص بن سليمان عن عاصم بن أبي النجود، وهي القراءة المستعملة في المشرق العربي.

وقد جاءت خطة البحث بعد هذه المقدمة في ثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: دولة البوسعيد، السياق والخصوصيات

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وهو مبحث تمهيدي، ويتضمن وصفاً جغرافياً لعُمان.

أما المبحث الثاني: فهو يتناول تاريخ الدولة اليعربية من حيث الاختلاف الذي حلّ بأئمتها ثم نهايتها باعتبار ذلك حالة مهدت لقيام دولة البوسعيد.

والمبحث الثالث: يتحدث عن قيام دولة البوسعيد، بدءاً من الإمام أحمد بن سعيد وأعماله، وخصائص دولة البوسعيد السياسية والاجتماعية والحضارية.

الفصل الثاني: أصول بيت المال في عُمان

ويشتمل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: يستعرض نشأة بيت المال في الإسلام ثم نشأة بيت المال في عُمان.

والروافد التي تصب في بيت المال، وأنواع أصول بيت المال. أما المبحث الثاني: فيتحدث عن الطرق التي تكونت منها أصول بيت المال في عُمان.

والمبحث الثالث: يناقش الصوافي التي هي من أهم أصول بيت المال في عُمان وأقسامها ويبين الحكم الشرعي إزاءها.

الفصل الثالث: الأثر الحضاري لأصول بيت المال

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عن الأثر التربوي، ويبين ما للمساجد والمدارس القرآنية من أثر تربوي في المجتمع العُماني، وكذلك تدريس العلوم الشرعية وعلوم العربية وغيرها من سائر العلوم.

أما المبحث الثاني: فيتناول الأثر الاقتصادي لبيت المال من حيث تمويل خزينة الدولة لإشباع الحاجات العامة، وإيجاد فرص عمل لمجموعة من الناس، كمسؤولين في الدولة، وموظفين، وعمّال، كما كان لبيت المال أثره في توفير الأمن الغذائي، والمبحث الثالث: فهو يتناول الأثر الاجتماعي، من حيث رفع المعاناة عن الفقراء والمحتاجين، كما كان له أثره في تأليف زعماء

القبائل ضيافة وعطاء وإصلاح المرافق العامة إلى غير ذلك من الآثار الحضارية في تاريخ عُمان الفكري والاجتماعي.

وقد تضمنت الخاتمة الإشارة إلى الفرق بين وظيفتي بيت المال والأوقاف، باعتبار أن بيت المال هو من الممتلكات العامة للدولة، أما الأوقاف فهي لما وقفت له، وأن للأوقاف أثراً حضارياً بارزاً في الحياة الإسلامية كالذي هو لبيت المال بل أكثر.

هذا ما تيسر لي في هذه الدراسة، ولا أدعيّ أني قد وفيت الموضوع حقه، فهو ولا شك بحاجة إلى مزيد من البحث والتحليل.

بيد أنني استطيع القول إن هذا البحث سوف يضيف بعداً حضارياً للأمة الإسلامية بصفة عامة، وللأمة العُمانية بصفة خاصة، ذلك البعد يتجلى في قدرة الذاكرة العُمانية وسلطتها على الاحتفاظ والمحافظة على هذه الأصول والأعيان عبر القرون التاريخية الإسلامية، ولا شك أن هذا يعيد إلى الذهنية الإسلامية ما كان عليه سلف هذه الأمة من التعامل مع هذا الأمر، عبر أراضي السواد في العراق، وأراضي مصر والشام وغيرها من أراضي البلدان التي فتحت عنوة أو صلحاً.

ولعل الإشكالية المرتبطة بهذا الموضوع، هو أن مؤسسة بيت المال، مؤسسة حضارية عريقة، رافقت ظهور الإسلام، حيث أرساها النظام المالي في الإسلام، وطوّرها التوجه الحضاري فيه، وهي ذات وظائف متعددة،

ومنجزات متواصلة قدّمتها ولا تزال تقدّمها إلى المجتمع، فهل هي قادرة على الاستمرار والعطاء؟ وهل هي بحاجة إلى التطوير لتواكب العصر الذي نعيشه؟

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

أحمد بن سعود السيابي

الفصل الأول

دولة البوسعيد: السياق والخصوصيات

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تمهيد

المبحث الثاني: العوامل التي أدت إلي قيام دولة البوسعيد

المبحث الثالث: قيام دولة البوسعيد

المبحث الأول

تمهيد

تقع سلطنة عُمان في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، حيث يحدها جنوباً الجمهورية العربية اليمنية، وغرباً المملكة العربية السعودية، وشمالاً دولة الإمارات العربية المتحدة، وشرقاً خليج عُمان الذي هو امتداد لبحر العرب، وبحر العرب هو امتداد للمحيط الهندي[1].

ويتبع الأرض العُمانية عدد من الجزر مثل جزيرة مصيره، وجزر الحلانيات، وجزيرة سلامه وبناتها، وغيرها من الجزر منها ما هي في خليج عُمان، ومنها تلك التي في بحر العرب.

ونظراً لكون عُمان واقعة في شرق شبه الجزيرة العربية فإنها بالطبع والطبيعة تقع في أقصى شرق الوطن العربي الكبير، حيث تمثل منطقة رأس الحد التابعة لولاية (صور) أقصى ذرة تراب من الجهة الشرقية لشبه الجزيرة العربية خاصة، والوطن العربي بصفة عامة[2].

---

١) عمان (٨٨)، ص (٨١)، وزارة الإعلام بسلطنة عمان.

٢) عمان (٩٢)، ص (٣٢)، وزارة الإعلام.

وإذا ما أردنا التعرف على مساحة عُمان، فإن مقررات الجغرافيا لمناهج وزارة التربية والتعليم بالسلطنة تحددها بثلاثمائة واثني عشر ألف كيلومتر مربع[1].

أما الشواطئ البحرية فتحتل عُمان منها مساحة جيدة إذ يبلغ شريطها الساحلي ألف وسبعمائة كيلومتر، غير شواطئ الجزر المتناثرة هنا وهنالك في بحر العرب وخليج عُمان[2]، ومنها الجزر الآنفة الذكر.

كما تتكون بعُمان سلاسل جبلية أهمها:

- سلسلة جبال الحجر الغربي التي تمتّد من رؤوس الجبال شمالاً وهي المعروفة برأس مسندم الواقعة على مضيق هرمز بوابة الخليج العربي، والشريان الحيوي الهام للسوق النفطية العالمية، وتنتهي عند ولاية سمائل جنوباً، وتضم هذه السلسلة الجبلية منطقة الجبل الأخضر الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر.
- سلسلة جبال الحجر الشرقي، وهي تمتد من مسقط شمالاً وحتى مدينة صور جنوباً.

---

١) التربية الوطنية للصف الثالث الإعدادي، ص (١٣)، وزارة التربية والتعليم بسلطنة عمان.

٢) عمان (٩٢)، ص (٣٢).

- سلسلة جبال ظفار، وتمتد من قبالة جزر الحلانيات شرقاً، وحتى حدود الجمهورية العربية اليمنية غرباً، وتشمل هذه السلسلة على جبل سمحان شرقاً، وجبل القرى وسطاً، وجبل القمر غرباً[1].

وبعُمان العديد من الأودية التي تغذي الأفلاج والآبار بالمياه، حيث تتكون على ضفافها القرى والبلدان التي بها واحات النخيل والأشجار.

وأهم هذه الأودية، وادي سمائل، وادي الجزي، وادي عندام، وادي حلفين، وادي ضيقه، وادي كلبوه، ووادي الرستاق، وغيرها من الأودية الكبيرة[2].

أما أهم المدن العُمانية، فهي مسقط، ونزوى، وصحار، والبريمي، وصلالة، وصور، وإبرا، وسمائل، ودبا، وخصب، والرستاق، وعبري، وضلكوت، ومرباط، وعلى العموم فإن التضاريس العُمانية متنوعة بين سهول ساحلية، وسلاسل جبلية، ومناطق صحراوية، وكثبان رملية، وتتخلل هذه التضاريس أودية تتكون على ضفافها القرى والبلدان التى تشكل واحات خضراء من النخيل والأشجار وسائر المزروعات.

وصدق ذلك الرجل العُماني الذي لقيه العالم اللغوي أبو عمرو بن العلا فسأله عن بلاده قائلاً له: صف لي بلادك، فأجابه العُماني بكلمات تعتبر

---

١) نفس المصدر. ص (٣٢).

٢) عمان (٨٨)، ص (٢٠).

من جوامع الكلم العربي وهي قوله: (سيف أفيح، وفضاء صحصح، وجبل صلدح، ورمل أصيح)"[1]

ولقد أعطى هذا الموقع لعُمان أهمية خاصة، حيث استطاع أهلها الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق البحر، فقد كان وجودهم مشهوداً، وحضورهم معهوداً في شرق أفريقيا وفي جنوب آسيا.

إن وضع عُمان موقعاً واتصالاً ليشبه الرجل المقبل إلى الجنوب، ماداً يديه فإذا بيده اليمنى تصل الشرق الأفريقي، بينما اليد اليسرى تصل إلى جنوب شرق آسيا.

على أننا إذا ما قلبنا صفحات كتب الجغرافيا والرحلات نجد لهذه الأهمية ذكراً وأيما ذكر، فيذكرها الإدريسي قائلاً بأنها مستقلة بذاتها عامرة بأهلها، وهي كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز، والرمان والتين والعنب"[2].

وذكر من المدن العُمانية صور وقلهات وقال بأنهما عامرتان، ويصاد بهما اللؤلؤ، وعند ذكره لمدينة صحار – المدينة العُمانية المشهورة – قال عنها بأنها أقدم مدن عُمان وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها يجلب جميع بضائع اليمن، ويتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة، ومتاجرهم مربحة،

---

١) العوبتي، سلمة بن مسلم العوبتي الصحاري، الإبانة، (ج١)، ص (٣١)، وانظر ، عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان ج١، ص (١٦).

٢) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج١، ص (١٥٥).

وبها نخل كثير، ومن الفواكه الموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار العجيبة الطيبة، وقال عنها أيضاً إن مراكب الصين تسافر منها في قديم الزمان[1].

أما ابن حوقل فيصفها بأنها ذات أقاليم فسحة ومستقلة بأهلها، وبأنها كثيرة النخل، وقال إن قصبتها صحار التي بها من التجارة ما لا يحصى كثرة، وقال عن صحار بأنها أعمر مدينة بعُمان وأكثرها مالاً، ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس (الخليج العربي) بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارةً ومالاً من صحار[2].

ويصف البكري عُمان، بأنها مدينة حصينة على ساحل البحر، وأنها كثيرة النخل والبساتين وضروب من الفواكه، وقال: وفي الأمثال (من تعذر عليه الرزق فعليه بعُمان)[3].

ويقول عنها شيخ الربوه، بأنها كثيرة النخل والموز والرمان، وذكر من مدنها صحار، قلهات، ومسقط، وأدم، ومنح ونزوى، وبهلا [1].

---

١) نفس المصدر، ص (١٥٦).

٢) أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ص (٤٤).

٣) الغنيم، عبد الله يوسف، جزيرة العرب مأخوذ من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، ص (٣٧).

وقال القلقشندي عن عُمان، بأنها مدينة جبلية بها مرسى السفن من السند والهند والزنج، وليس على بحر فارس (الخليج العربي) مدينة أجل منها[1].

أما المقدسي، فيذكر مدن عُمان بأنها صحار، والسر، وضنك، وحفيت، وسلوت، ونزوى، ودبا، وسمد، وبسيا، والبريمي، والقلعة، ومسقط، وقال عن صحار (هي قصبة عُمان، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منها، وعامر آهل حسن طيب نزه، ذو يسار وثمار وفواكه وخيرات، أسرى من زبيد وصنعاء، أسواق عجيبة، وبلدة ظريفة، ممتدة على البحر، دورهم من الآجر والساج، شاهقة نفيسة، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذيبية، وقناة حلوة، وهم في سعة من كل شيء، ودهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوثة اليمن[2].

ويورد الهمداني قول الأصمعي ت (٨٣١ م)[3]، بأن الدنيا ثلاثة أقسام هي: عُمان، الأبلّة، وسيراف[4].

---

١) الأنصاري الدمشقي، محمد بن أبي طالب المعروف بشيخ الربوه، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص (٢٨٧).

٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج ٥، ص (٥٣).

٣) المقدسي، محمد الشافعي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص (٨٧).

٤) عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ومولده ووفاته بالبصرة (١٢٢ – ٢١٦ هـ)، والزركلي، الأعلام، ج٤، ص (١٦٢).

وينقل عن أردشير وهو من ملوك الفرس قوله بأن تربة العرب إلى عُمان ومكران هي صفوة الأرض[1].

تلك هي أقوال الرحالة والجغرافيين، والمؤرخين والأدباء عن أهمية موقع عُمان الجغرافي، وما بها من خيرات وبركات ومنافع وطيبات.

نستنتج منها ما كان لعُمان من أهمية كبيرة على خريطة العالم الجغرافية والاقتصادية والتاريخية.

وهناك اختلاف في سبب التسمية – أي تسمية عُمان – فمنهم من يقول إن هؤلاء الأزد سمّتها عُمان لأن منازلهم كانت على واد لهم بمأرب يقال له عُمان[2]، وقيل سميت بعُمان بن قحطان بن يحيا بن يفثان بن إبراهيم خليل الرحمن[3]، وقيل سميت بعُمان بن قحطان[4]، أخي يعرب بن قحطان، على أن لعُمان أسماء أخرى منها:

---

١) الهمذاني، أحمد بن محمد بن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص (١٨٩).

٢) نفس المصدر، ص (١٨٤).

٣) العوتبي، الأنساب، ج٢، ص (٢٠٥)، السالمي، النحفة، ج١، ص (٧).

٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص (١٥٠).

٥) السالمي، المصدر السابق، ص (٧).

- مزون، ويقال إن الفرس سموها بهذا الاسم، وقيل العرب[1].
- مجان، وهذه التسمية أطلقها عليها السومريون الذين حكموا عُمان وبلاد ما بين النهرين[2].
- نعُمان، وقد وردت هذه التسمية على لسان بعض الشعراء العُمانيين يقول: مداد بن محمد[3]:

ارقت لبرق لاح من أرض نعُمان أضا فنضى غمضي وأسهر أجفاني

ويقول أبو مسلم البهلاني [4]:

قضت وطراً من سكن أفياء نعُمان فشطّت بالباب قضين بأشجان

---

١) العوتبي، المصدر السابق، ص (٢٠٥)، وانظر السالمي، المصدر السابق، ص (٧).

٢) مجموعة من الباحثين، عمان في التاريخ، ص (٦٩)، وزارة الإعلام، سلطنة عمان.

٣) مداد بن محمد بن مداد بن فضالة الناعبي من مدينة نزوى بعمان، كان عالماً فقيهاً شاعراً، عاش في القرن التاسع الهجري، البطاشي سيف بن حمود إتحاف الأعيان، ج٣، ص (٢٤).

٤) هو ناصر بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي، أبو مسلم، ولد في منطقة وادي محرم من عمان، سنة ١٢٧٣ وقيل ١٢٧٧ هـ، انتقل إلى زنجبار بأفريقيا الشرقية، عمل بها قاضياً، ثم رئيساً للقضاء، توفي في ٢ صفر ١٣٣٩ هـ، من مؤلفاته، نثار الجوهر في الفقه، والعقيدة الوهبية في التوحيد، والنشأة المحمدية، والنور المحمدي في السيرة النبوية، له ديوان شعر، كما أنه اشتغل بالصحافة فأصدر صحيفة النجاح، أبو مسلم البهلاني، نثار الجوهر، مقدمة بقلم الباحث.

المبحث الثاني
العوامل التي أدت إلى قيام دولة البوسعيد
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف اليعاربة
المطلب الثاني: نهاية دولة اليعاربة

المطلب الأول: اختلاف اليعاربة

كان لتقديم المهنأ بن سلطان بن ماجد اليعربي للإمامة عام ١١٣٧ هـ ١٧١٩ م بداية الأزمة في دولة اليعاربة، وذلك أن عامة الناس وعوامهم راغبون في إمامة سيف بن سلطان الثاني الذي هو لم يزل صغيراً دون بلوغ الحلم، ولا ريب أن شخصاً على هذا المستوى من العمر لا يصلح أن يكون محلاً للبيعة بالإمامة، بل لا يصلح أن يكون إمامًا للصلاة، وهي الإمامة الصغرى، فكيف يصلح للإمامة الكبرى، غير أن أولئك العامة ما لبثوا أن ثاروا وقدموا سيف بن سلطان إماماً بيد أنهم أدركوا صغر سنه وعدم أهليته للإمامة شرعاً، لذلك جعلوا يعرب بن بلعرب بن سلطان، وهو ابن عم سيف قائماً بأمره [١]، والظاهر أن لجوء أفراد الأسرة الحاكمة من اليعاربة ومعهم عامة الناس، إلى هذا النوع من الممارسة ظناً منهم أن هذا الأمر وراثة، ولا ينبغي أن يخرج من بيت أولاد مالك بن أبي العرب اليعربي الذي تسلّل منه الأئمة اليعاربة السابقون بدءاً من الإمام ناصر بن مرشد وحتى الإمام سلطان بن سيف الثاني الأمر الذي دفعهم إلى التشبث بإمامة سيف بن سلطان الثاني.

---

١) الأزكوي، سرحان بن سعيد، تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، ص(١١٣)، وانظر السالمي، التحفة ج٢، ص (١١٥).

إزاء هذا الوضع الشائك والمعقد دينياً واجتماعياً وبوادر الفتن أخذت تلوح في الأفق بل أخذت تشم رائحتها على أفواه الشارع العُماني، رأى قاضي المسلمين والمرجع في الدين ومن معه من العلماء وأهل الفضل والرأي أن يعقدوا الإمامة ليعرب بن بلعرب باعتباره أكثر أهلية ومناسبة من سيف بعد أن استتابوه مما فعل واكتسب.

غير أن التصرف لم يعجب الآخرين الذين لهم مصالحهم ومطامعهم، فأخذوا يستثيرون ويستنهضون يعرب بن ناصر الذي هو خال سيف بن سلطان لكي يستلّ الأمر من الإمام يعرب بن بلعرب ويقوم هو بأمر سيف[1].

وهكذا نجد أن يعرب بن ناصر خرج على الإمام يعرب بن بلعرب مدعياً أن خروجه لأجل القيام بأمر سيف بن سلطان، واستولى على الأمر، واستخلص بعض الحصون والمعاقل من قبضة الإمام يعرب بن بلعرب، لكن الوضع لم يستتب ليعرب بن ناصر، فقد عمد بعض زعماء القبائل وفي مقدمتهم محمد بن ناصر الغافري ت ١١٤٠ هـ [2] إلى مناصرة الإمام يعرب بن بلعرب

---

١) الأزكوي، نفس المصدر، ص (١١٤)، السمالي، نفس المصدر، ص (١١٧).

٢) محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة الغافري، من قرية سني بوادي بني غافر من عمان، أحد زعماء القبائل، يعتبر رئيس الجناح الغافري في الانقسام القبلي في عمان، خاض حربا مريرة مع خصمه خلف بن مبارك الهنائي الذي يعتبر رئيس الجانب الهنائي في الانقسام القبلي ـ توفي قتيلاً سنة ١١٤٠ هـ، السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص (١٣٤ – ١٤٠).

والوقوف بجانبه ضد يعرب بن ناصر الذي أساء معاملة الزعيم القبلي الآنف الذكر عندما قابله في الرستاق[1].

وفي معمعة تلك الأحداث توفي الإمام يعرب بن بلعرب وذلك في الثالث عشر من جمادى الآخرة لسنة ١١٣٥ هـ - ٢ مارس ١٧٢٣ م، ونتيجة لاختلاف الأسرة اليعربية فيما بينهم، ومحاربة بعضهم لبعض فقد تهيأ لمحمد بن ناصر الغافري أن يستولي على الوضع، وأن يقوم باعتقال يعرب بن ناصر مدعياً هو الآخر بأنه قائم بأمر سيف بن سلطان الصغير، ونائب عنه في الإمامة[2].

ونستنتج من ذلك ضعف الدولة وقوة زعماء القبائل في توجيه الأحداث الجارية.

وبعد استيلاء الغافري على الأمر باسم سيف بن سلطان الذي لا يزال صغيراً لم يبلغ الحلم ظهر زعيم قبلي آخر هو خلف بن مبارك الهنائي[3]، الذي أخذ في مقاومة محمد بن ناصر وأقام عليه حرباً شعواء لا هوادة فيها،

---

١) السالمي، المصدر السابق، ص (١٢٠).

٢) نفس المصدر، ص (١٢٤).

٣) هو خلف بن مبارك الهنائي، يلقب القصير، ويقال له العنبوري نسبة إلى حصن العنبور في بلدة الوشل من أعمال الرستاق، يعتبر رئيس الجانب الهناوي في الانقسام القبلي في عمان، خاض حرباً مريرة مع خصمه محمد بن ناصر الغافري، تحفة الأعيان، ج٢، ص (١٣١ – ١٤٠).

وانحازت إلى كل واحد من المحاربين مجموعة من القبائل، الأمر الذى مكن من ظهور زعامات قبلية واسعة ومتنفذة، وظهرت الكتلتان القبليتان المعروفتان في عُمان وهما الغافرية والهناوية، وذلك أن القبائل التي انحازت إلى خلف الهنائي وقاتلت معه سميت بالهناوية، والقبائل التي انحازت إلى محمد الغافري سميت بالغافرية (فإن المتعصبين فيها لمحمد بن ناصر الغافري سموا بالغافرية والمتعصبين لخلف بن مبارك الهنائي سموا بالهناوية[1]).

وافترقت عُمان قبلياً إلى هاتين المجموعتين، وكان هذا الانقسام بلاءً وشراً مستطيراً على عُمان، فقد أخذت القبائل يحارب بعضها بعضاً منذ ذلك الحين على هذا الأساس من الانقسام القبلي البغيض.

وبعد أن رأى الزعيم الغافري أن الغلبة أخذت تميل لصالحه وأنه أصبح مسيطراً على أجزاء واسعة من عُمان أراد اعتزال الأمر، وإعفاءه عن القيام بشؤون الإمام الصغير، ووصل إلى نزوى وأرسل إلى رؤساء القبائل وأهل العلم من غرب عُمان وشرقها فاجتمعت إليه جموع كثيرة فطلب منهم أن يبرأ من الإقامة بالحرب وبأمور المسلمين، وأن يقيموا من أرادوا مع سيف بن سلطان واعتذر إليهم[2].

---

١) السالمي، المصدر السابق، ص (١٢٥).

٢) نفس المصدر، ص (١٣٤).

وليس ببعيد أن يكون الأمر حيلة من محمد بن ناصر لكي يبايع بالإمامة بعد أن أحرز الانتصارات ضد خصومه وصارت له السيطرة، وبعد أن لاحظ خوف الناس وخشيتهم من انتقامه إن هم قدموا غيره، كما أن علماء الدين وأهل الفضل وأصحاب الحل والعقد رأوا في تقديمه للإمامة مصلحة ظاهرة من تسكين الفتن وسدًا لأبواب الشر التي ربما تنفتح بصورة اشد إذا ما قدم شخص آخر، ولذلك لم يعذروه وعقدوا له الإمامة في السابع من محرم سنة ١٣٣٧ هـ - ١٥ مارس١٧٢٥م، وبذلك أصبح الغافري إماماً شرعياً، وهناك رأى بعض اليعاربة أن الأمر أفلت من أيديهم، فأخذوا يقاومون الإمام الغافري بمهاجمة بعض الأماكن، ولكنها مقاومة ضعيفة واهية لم تستطع الصمود أمام قوة الإمام الغافري[1].

كما ثارت ضده بعض الثورات المتقطعة المتفرقة هنا وهناك، ولكنه استطاع إخمادها والتغلب عليها[2]. بعد ذلك توجّه إلى صحار لكي يستخلصها من أيدي مناوئيه، فعلم خصمه الهنائي بتوجهه إلى صحار فجمع له جموعاً كبيرة من بني هناءة والقبائل الموالية له وتوجه إلى صحار للوقوف في وجه الغافري وعدم تمكينه من الاستيلاء عليها، وحدثت مناوشات بين الفريقين استمرت أياماً حتى التقيا وجهاً لوجه أمام حصن صحار، وهناك خرا

١) المصدر السابق، ص (١٣٥).

٢) نفس المصدر، ص (١٣٦ - ١٣٩).

صريعين حيث قتلا معاً في مكان واحد، في مطلع شهر شعبان سنة ١١٤٠ هـ - مارس ١٧٢٨ م، وهكذا كانت نهاية زعيمي الفتنة[1] التي كانت نهايتهما إيذاناً بنهاية الدولة اليعربية، وهو ما سنتحدث عنه في المطلب الثاني.

١) الأزكوي، المصدر السابق، ص (١٣٢).

المطلب الثاني: نهاية دولة اليعاربة

بعد وفاة الغافري والهنائي كان سيف بن سلطان قد بلغ الحلم، حيث اصبح ذا أهلية شرعية لتولي الحكم كإمام حاكم، لذا كان رأي أهل الحل والعقد من علماء الدين ورؤساء القبائل أن يعقدوا عليه الإمامة، فحملوه من صحار حيث كان برفقة الإمام الغافري إلى نزوى وعقدوا له الإمامة في العاشر من شعبان سنة ١١٤٠ هـ - ١٢ مارس ١٧٢٨ م[1].

بيد أنه لم تمض عليه سوى سنين قليلة حتى أحدث أحداثاً أنكرها عليه العلماء والوجهاء والأعيان الذين رأوا أن تلك الأحداث لا تنسجم مع مقررات الشريعة الإسلامية. فقاموا بخلعه وعزله عن الحكم، وتقديم بلعرب بن حمير اليعربي إماماً[2]، غير أن سيف بن سلطان وهو الإمام المخلوع لم يستكن لهذا الخلع، فاستنجد بحاكم مكران في بلوشستان الذي أنجده بفرقة صغيرة من البلوش، ولكنها لم تستطع عمل أي شيء من تقوية نفوذه وإعادة الأمر إليه على سبيل القهر والغلبة، الأمر الذي دعاه أن يولي وجهه شطر فارس طالباً النجدة والاستعانة من الشاه الفارسي، وقد صادف هذا الطلب وجود نادر شاه على السلطة في فارس، والذي كانت له

---

١) السالمي، المصدر السابق، ص (١٤١).

٢) نفس المصدر، ص (١٤١)، (١٤٣).

أطماع في السيطرة والتوسع، لا سيما بعد أن ذاق حلاوة النفوذ والسيطرة على البصرة والبحرين(١)، وهما القطران المجاوران لفارس (إيران).

وقد وجد في هذا الطلب الفرصة سانحةً للاستيلاء على عُمان، لذلك نجده سرعان ما أن لبّى طلب الإمام العُماني المخلوع، فأرسل حملة فارسية كبيرة، كانت في ظاهر الأمر نصرة لسيف بن سلطان، وفي باطنها إخضاع عُمان للنفوذ الفارسي.

وبعد وصول الحملة إلى عُمان انضم إليها المخلوع، وحدثت المواجهة بينهم وبين الإمام بلعرب في منطقة الظاهرة، وكانت الغلبة لصالح سيف والفرس، وانهزم الإمام بلعرب، وأخذ الفرس يستولون على البلدان العُمانية الواحدة تلو الأخرى، إلا أن القسوة والوحشية اللتين استعملهما الفرس ضد أهل عُمان كانتا سبباً لاجتماع أهل عُمان على القيام بالصلح بين الإمام المنصوب والإمام المعزول، على أن يتنازل الإمام بلعرب عن الحكم لسيف لكي يعود إليه الأمر من جديد حقناً لمزيد من الدماء وقطع الطريق أمام السيطرة الفارسية من جهة، وتقليصاً للحرب الأهلية الدائرة من جهةٍ أخرى، وهذه المبادرة كانت من رؤساء القبائل دون العلماء، وأهل الفضل في الدين(٢)، مما

---

١) عبدواني، صادق حسن، الدولة العثمانية، نشأتها وتطورها، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ص (٥٦).

٢) السالمي، المصدر السابق، ص (١٤٧).

يدل على قوة زعماء القبائل وتضاؤل نفوذ علماء الدين، وهكذا عاد الحكم إلى سيف مرةً ثانية، واجتمع بذلك شمل أهل عُمان في وحدة وطنية مكنتهم من طرد الفرس وإخراجهم من عُمان.

غير أن سيف بن سلطان لم يلبث طويلاً، فقد عاد مرة ثانية يسيء التصرف في شئون الحكم، وحدثت منه أمور أزعجت العلماء ورؤساء القبائل وعامة الناس على السواء، مما جعلهم يعزلونه عن الحكم مبايعين بالإمامة لسلطان بن مرشد اليعربي(١) في التاسع من ذي الحجة سنة ١١٥٤ هـ - ١٤ فبراير ١٧٤٢ م.

وفي رأيي أن الوضع المالي للدولة الذي كان في حالة من الضعف والتردي، كان سبباً لتفاقم المشاكل على سيف، وبالتالي كان السبب في ضعف الدولة وانهيارها، وإن كانت المصادر التي بين أيدينا لم تتطرق إلى ذلك، فإنه من المعلوم أن أية دولة تتعرض، كما تعرضت له الدولة اليعربية في آخر عهدها، لابد وأن يفقدها الموارد الاقتصادية، وبالتالي تبقى عاجزة عن تلبية مطالب مواطنيها، وهذا هو الوضع الذي آل إليه أمر الإمام سيف بن سلطان، وهو الذي أشرب حب الزعامة والرئاسة، لذلك عمد إلى الاستعانة بالفرس مرة ثانية، والظاهر أنه لم يستوعب الدرس في المرة الماضية، ولم يستفد عبرة مما حدث.

---

١) نفس المصدر، ص (١٥٠).

أما الشاه الفارسي فقد أجابه على طلبه، غير أن مطامعه هذه المرة كانت أكثر وضوحاً وصرامة، فقد أعطيت التوجيهات إلى الحملة بالاستقلالية عن سيف في الحركة والتصرف لضبط الأمور وإحكام القبضة على عُمان، وذلك لتهميش دور سيف، وهو ما حدث بالفعل، كما كان الفرس هذه المرة أكثر وحشية وشراسة من المرة السابقة، واستمرت المواجهة بين الإمام سلطان بن مرشد والعُمانيين من جهة وبين الفرس من جهةٍ أخرى في أماكن متعددة من عُمان حتى أصيب الإمام بإصابات بالغة في المعركة التي دارت رحاها بالقرب من صحار وتوفي على إثرها(١).

وهنا ظهر على خط المقاومة مع الفرس شخص آخر هو أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسس الدولة البوسعيدية، والذي كان والياً على صحار.

أما سيف بن سلطان فعندما شاهد أفعال الفرس في بني قومه وأهل وطنه، ورأى وتيقن من أن الأمر قد أفلت من يديه، وأن الفرس ما اتخذوه إلا ذريعةً إلى الوصول إلى عُمان، ومحاولة إخضاعها للسيطرة الفارسية، انحاز إلى حصن الحزم القريب من مدينة الرستاق حتى توفي بعد وفاة الإمام سلطان بن مرشد بأيام قليلة كمداً وحزناً على ما آلت إليه الأوضاع من سوء

١) نفس المصدر، ص (١٥٤)، وانظر ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين، ص (٣٤٤).

تصرفه، وما آل إليه مصيره هو(١)، ولكن ماذا ينفع الندم ولات حين مندم، وماذا يفيد الحزن ولات حين مناص.

إن هذه العوامل من اختلاف بين أفراد البيت اليعربي، وقوة نفوذ زعماء القبائل، وضعف نفوذ علماء الدين في توجيه الأحداث، ومع ما كانت عليه الدولة من ضعف اقتصادي هي التي أدت إلى انهيار الدولة اليعربية وانتهائها، وقيام الدولة البوسعيدية، حيث أنه بوفاة الإمام سلطان بن مرشد وسيف بن سلطان الثاني كانت نهاية الدولة اليعربية، ولم تبق إلا محاولات غير موفقة من جانب بلعرب بن حمير بعد ذلك.

وهناك برز اسم أحمد بن سعيد البوسعيدي، ولمع نجمه كبطل ورمز للنضال القومي ضد الفرس والاحتلال الفارسي، وهو الذي قامت عليه دولة البوسعيد فيما بعد في عُمان، وهو ما سنذكره في المبحث القادم.

---

١) السالمي، المصدر السابق، ص (١٥٤)، ابن رزيق، المصدر السابق، ص (٣٤٤).

المبحث الثالث
قيام الدولة البوسعيدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي واعماله

المطلب الثاني: التحولات السياسية والاجتماعية

المطلب الثالث: الخصائص الحضارية

المطلب الأول: الإمام أحمد بن سعيد مؤسس الدولة وأعماله

هو الإمام أحمد بن سعيد بن محمد بن خلف بن مبارك البوسعيدي الازدي، ولد في بلدة (أدم)، وهي بلدة عُمانية معروفة ومشهورة، وتشكل واحدة خضراء وارفة الظلال، وتتوسط الصحراء الممتدة بين (منح) والربع الخالي. وكان مولده يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب سنة ١١٠٥ هـ - مارس ١٦٩٤م (١)، وكان يتمتع بمؤهلات قيادية كالشجاعة والجرأة والإقدام، إضافةً إلى حسن السياسة وصحة التدبير، واشتغل في بادئ أمره في شبابه بالتجارة بين مسقط ونزوى وأدم وغيرها من المدن العُمانية.

ولعل رحلاته التجارية هذه مكّنته من بناء علاقات طيبة مع العديد من الأشخاص من ذوي الشأن من الوجهاء والأعيان، ومن بينهم مقربون من سيف بن سلطان، كما أنه صارت له سمعة حسنة في بلدة (أدم)، واشتهر بين قومه بصواب الرأي وذاع صيته بذلك، حتى وصل ذلك إلى سمع سيف بن سلطان الذي كان بحاجة ملحة إلى رجل سديد الرأي، راجح العقل لكي يشاركه الرأي والسياسة في تسيير شئون الدولة ودقة الحكم.

فطلب منه سيف، وبناءً على نصيحة بعض مستشاريه الحضور إلى مسقط، والتي اتخذها سيف عاصمةً لحكمه، وعندما قابله طلب منه أن

---

١) البطاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد، ص (١٣).

يكون عوناً ومساعداً له فوافق أحمد بن سعيد على هذا الطلب، وانتقل إلى مسقط ليكون قريباً من سيف وبجانبه، وبعثه في الحال في مهمة رسمية إلى حاكم الإحساء(١).

ويظهر لي أن هذا الوقت كان بعد خلع سيف بن سلطان وعزله عن الإمامة، وأن هذه البعثة ما كانت إلا لطلب النجدة من حاكم الإحساء ضد الإمام بلعرب بن حمير الذي بويع بالإمامة بعد عزل سيف عنها.

والظاهر أنه لم يجد تلبية لطلبه، لذلك قرر التوجه إلى حاكم مكران الذي عزّزه بحملة صغيرة من البلوش لم تستطع تحقيق شيء له في مواجهة خصومه، الأمر الذي ألجأه إلى طلب النجدة من الفرس، حتى كان ما حدث من مجيء الفرس إلى عُمان كما قدمنا ذكره.

بعد ذلك عينّ سيف، أحمد بن سعيد والياً على صحار، ولا ندري هذا التعيين، هل كان أثناء عزل سيف عن الإمامة أم بعد ما أعيد الأمر إليه بعد تنحي بلعرب بن حمير عن الحكم نتيجة الاتفاق الذي حصل بينهما بناءً على وساطة رؤساء القبائل، وذلك أن سيف بن سلطان بعد عزله عن الإمامة ظل مسيطراً على بعض المناطق كمسقط وصحار والرستاق(٢).

---

١) الفتح المبين، ص (٣٣٠).

٢) السالمي، المصدر السابق، ص (١٤٤).

على أي حال فإن هذا التعيين هو البداية الحقيقية لصعود أحمد بن سعيد إلى سلم السلطة، وهناك عرف عنه الناس حسن السيرة وطيب المعاملة، والرفق والكرم والشجاعة والإقدام، فقصدوه في مهماتهم مما أثارعليه حفيظة سيف وأخذ يتوجس منه خيفة، وساورته الشكوك حياله، لذلك عمد إلى تدبير حيلة للقبض عليه وسجنه، فاستدعاه إلى مسقط، غير أن أحد الأصدقاء المخلصين لأحمد أخبره في الطريق بالأمر والمكيدة، فقفل عائداً إلى صحار(١).

وقام سيف مرةً أخرى باستدعاء أحمد بن سعيد للحضور إلى مسقط، إلا أن أحمد اعتذر إليه عن الحضور، الأمر الذي جعل سيفاً يعمد إلى المسير بنفسه إلى صحار محركاً معه بعض قطع الأسطول البحري لإجبار الوالي على تسليم نفسه أو محاربته وإخراجه بالقوة، غير أن تحرك بعض الوجهاء والأعيان، وقيامهم بالتوسط بين الإمام والوالي خفّف من حدة المواجهة، واكتفى الإمام بأن يكون أحد أبناء الوالي بمعيته كدليل على حسن النية تجاه الإمام(٢).

١) ابن رزيق، المصدر السابق، ص (٣٣١).

٢) نفس المصدر، ص (٣٣١ - ٣٣٤).

وهكذا ظل أحمد بن سعيد على رأس عمله كوالٍ على صحار حتى تم عزل سيف ثانية عن الحكم وتقديم سلطان بن مرشد إماماً مكانه، فحوّل أحمد بن سعيد ولاءه إلى الإمام الجديد باعتباره الحاكم الشرعي(١).

وعندما جاء الفرس نصرةً لسيف حسب ظاهر الأمر، توجه قسم منهم لمحاصرة صحار بغية تخليصها من الوالي، إلا أن الوالي استبسل في الدفاع عنها، وقاوم الفرس مقاومة عنيفة، وصمد في مواجهتهم بعزيمةٍ قوية، ومن هناك أخذ يبرز دوره كبطل قومي استطاع الصمود في وجه الغزاة المحتلين.

وعندما حانت وفاة الإمام سلطان بن مرشد وسيف بن سلطان ظل الوالي قائماً على الساحة في محاربة الفرس حتى استطاع فك الحصار عن صحار(٢)، وبعد رحيل الفرس عنها خدمته الظروف بأن أخذ منهم مسقط ومطرح(٣). وذلك أن الفرس الذين كانوا موجودين في مسقط ومطرح عندما علموا برحيل أصحابهم من صحار ووفاة سيف بن سلطان أصابهم إحباط، وداخلهم الملل والسأم، فبعثوا إلى أقارب سيف بن سلطان أن يرسلوا أحد أقاربه للتفاهم معه بل أقرب الناس إليه، فسار إليهم ماجد بن سلطان(٤)،

---

١) السالمي، المصدر السابق، ص (١٥٢).

٢) ابن رزيق، نفس المصدر، ص (٣٤٦)، السالمي، المصدر السابق، ص (١٥٤).

٣) نفس المصدر، ص (١٥٦).

٤) نفس المصدر، ص (١٥٥).

والظاهر أنه أحد اخوة سيف، وصار الاتفاق على أن يذهب ماجد إلى الشاه في فارس حاملاً خطاباً من قائد الحامية الفارسية في مسقط، وفيه إخبار عن الواقع الذي آل إليه وجودهم في عُمان، وما هم فيه من الإحباط والخوف وعدم النصير، وبأن حامل الخطاب هو أقرب الناس إلى حليفهم المتوفى، ويحمل الخطاب أيضاً اقتراحاً بتسليم الأمر إليه والسماح لهم بالعودة إلى بلادهم، وقد لاقى مضمون الخطاب قبولاً واستجابة من القيادة الفارسية، والتي كان جوابها بالموافقة على تلك الاقتراحات، وزود ماجد بخطاب يتضمن الأمر بتسليمه حصني مسقط ومطرح، وأنه يعتبر الوريث عن سيف بن سلطان في استلام مقاليد الحكم(١).

وهنا ينطبق المثل القائل على لسان الشاعر (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)، فإن ماجداً عندما اقترب من صحار هاج بهم البحر ودفع بهم الموج إلى شاطئ صحار مما اضطره إلى النزول فيها، فأمسك به الوالي أحمد بن سعيد وأخذ منه خطاب الشاه الموجه إلى قائد الحامية الفارسية في مسقط، وأرسل بذلك الخطاب شخصاً آخر من قبله هو خميس بن سالم البوسعيدي لاستلام حصني مسقط ومطرح، فسلّم الفرس له الحصنين ظناً منهم أنه من قبل ماجد بن سلطان(٢).

---

١) نفس المصدر، ص (١٥٦).

٢) ابن رزيق، المصدر السابق، ص (٣٤٠ – ٣٤٨).

وبعد أن قضى على الفرس بإخراجهم من صحار أولاً، ومن مسقط ثانياً، ثم القضاء عليهم بقتل غالبيتهم في بركا ثالثاً، أصبح مسيطراً على الوضع، مستولياً على جزء كبير من عُمان وعلى العديد من المعاقل والحصون، فقد خضعت له مناطق مسقط والباطنة والرستاق، أما مناطق الظاهرة والداخلية والشرقية فلم تكن خاضعة له آنذاك، وإنما تم تنصيب بلعرب بن حمير إماماً لها، حيث عقدت له الإمامة في نزوى سنة ١٣٥٧ هـ - ١٧٤٥ م(١).

وظل الوضع على هذا الحال، فأحمد بن سعيد يسيطر على مناطق مسقط والباطنة والرستاق بينما الإمام بلعرب يسيطر على نزوى ومناطق الداخلية والشرقية والظاهرة، حتى تم عزل بلعرب عن الإمامة لسوء سيرته واستخدامه أسلوب القهر باعتقاله عدداً من العلماء والأعيان والزج بهم في السجون، حتى أن بعضهم مات في السجن نتيجةً لسوء المعاملة(٢)، فقرر أولئك العلماء عزله وخلعه، وبعضهم كان ممن عقد له الإمامة كالشيخ حبيب بن سالم أمبوسعيدي(٣) وغيره من العلماء.

---

١) البطاشي، المصدر السابق، ص (٢٠).

٢) السالمي، المصدر السابق، ص (١٦٦).

٣) حبيب بن سالم الامبوسعيدي النزوي من علماء القرن الثاني عشر الهجري، عالماً فقيهاً، كان في مقدمة العاقدين بالإمامة للإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، له أجوبة فقهية، السالمي، النحفة، ج٢، ص (١٦٩).

وبعد عزل بلعرب عن الحكم رأوا أن المؤهل لهذا المنصب الشريف ما هو إلا أحمد بن سعيد البوسعيدي، وذلك لحسن سيرته في الرعية، ومواقفه البطولية، ونضاله الوطني ضد الاحتلال الفارسي، فكان اجتماعهم في مدينة الرستاق لمبايعته بالإمامة التي يرى الشيخ سيف بن حمود البطاشي وقوعها في مطلع عام ١١٦٢ هـ (١).

والذي يظهر لي أن بيعته كانت قبل ذلك بدليل زيارته للمناطق الداخلية كنزوى ومنح وإزكي في شهر رجب سنة ١٦٦١هـ، وكان يخاطب آنذاك بالإمامة(٢)، وقد بايعه بالإمامة العديد من علماء الشريعة الإسلامية وأهل الحل والعقد من رؤساء القبائل والوجهاء والأعيان، وكان في مقدمة العاقدين عليه بالإمامة الشيخ حبيب بن سالم الامبوسعيدي(٣)، والشيخ محمد بن عامر بن عريق العدوي المعولي(٤).

---

١) البطشي، المصدر السابق، ص (١٩).

٢) نفس المصدر، ص (٣٠٧).

٣) تقدم التعريف به.

٤) هو العلامة محمد بن عامر بن راشد، المعروف بابن عريق المعولي، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، وكان في مقدمة العلماء الذين قاموا بعقد الإمامة للإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، تولى القضاء على مسقط، ومن مؤلفاته المهذب في الميراث، والتهذيب، وقصص وأخبار جرت في عمان، الاتحاف، ج٣، ص (٤٥٧).

وبذلك أصبح أحمد بن سعيد إماماً شرعياً، وخرج بلعرب من نزوى إلى منطقة الظاهرة حيث أقام هنالك حتى قتل في معركة (فرق) القريبة من نزوى، التي دارت بينه وبين الإمام أحمد بن سعيد سنة ١١٦٧ هـ - ١٧٤٥م(١).

وسيطر الإمام أحمد على جميع مناطق عُمان، وخضعت له معاقلها وحصونها، واستتب الأمن، واستقر الأمر بعد تلك الحروب الأهلية الطاحنة التي شهدتها عُمان عقب وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني، وابتلى بها أهل عُمان شر بلاء، وما أعقب ذلك من الغزو الأجنبي المتمثل في الاحتلال الفارسي الذي خاض معه العُمانيون حروباً ضارية تشيب من هولها الولدان وتقشعر لها الأبدان، فكان الإمام أحمد هو الذي له الفضل في تخليصها من تلك المحن والفتن بكفاءة فائقة.

وكانت له أعمال جليلة أهلته لمنصب الإمامة بجدارة، ولموضع الزعامة بكفاءة، ومن تلك الأعمال:

- حربه مع الفرس:

وهي أولى تلك الأعمال التي برز بها، وصعد بها إلى الشهرة، وذيوع الصيت، حيث استطاع أن يثبت لهم في صحار فترة طويلة، وهو صامد كل الصمود،

١) البطاشي، المصدر السابق، ص (٢٠).

يدافعهم بشدة وقو وعزيمة، ورباطة جأش، ولم تلن له قناة، حتى أزهقتهم الحرب معه، وتعبوا من محاصرتهم له، الأمر الذي دفعهم على التفاوض معه لفك حصارهم عنه، والرحيل عن صحار، ثم تهيّأ له بعد ذلك إخراجهم من مسقط، ثم تمكن من القضاء عليهم نهائياً في بركا بفضل المقاومة الشعبية العارمة ضدهم، وبذلك كانت نهاية الوجود الفارسي في عُمان.

- تكوين جيش منظم:

فقد رأى أنه لابد لحماية البلد وحفظ الدولة من وجود جيش منظم ومجهز وعلى استعداد تام إذا ما حدث غزو خارجي أو تمرد داخلي، حيث أن الاعتماد على المتطوعين لم يعد مفيداً لبقاء الدولة وأمن البلاد، لذلك قرر تكوين جيش مكون من ثلاثة آلاف شخص من جنسيات مختلفة، من العرب العُمانيين والأفارقة والنوبة(١)، على أن هذا الإجراء لا شك أنه ينم عن حنكة سياسية، وخبرة عسكرية، حيث أن الاعتماد على المتطوعين للحرب عند وقت الحاجة فيه من الإشكال ما فيه لحدوث التكاسل عن النصرة.

١) ابن رزيق، المصدر السابق، ص (٣٥٣).

- نجدته لإنقاذ البصرة من الفرس:

وذلك أن كريم خان زند الذي استولى على مقاليد الأمور في فارس عام ١٧٥٦ م، وجه حملة كبيرة لاحتلال البصرة وأخذها من الدولة العثمانية، الأمر الذي دعا بالسلطان العثماني مصطفى الثالث أن يطلب النجدة من الإمام أحمد بن سعيد الذي سارع إلى تلبية طلب السلطان العثماني مستجيباً لندائه، حيث أرسل أسطولاً مكوناً من العديد من السفن الحربية، وعلى رأسها الباخرة (الرحماني) بقيادة نجله هلال في أكتوبر ١٧٥٧م، واستطاع الأسطول العُماني الوصول إلى البصرة، وطرد الاحتلال الفارسي عنها، بعد أن حطم السلسلة العتيدة التي وضعها الفرس على شط العرب لمنع وصول أي سفينة إلى البصرة، ورجع الأسطول العُماني مكللاً بالظفر، رافعاً لواء النصر، لذلك قررت الدولة العثمانية دفع مكافأة سنوية للإمام أحمد، واستمرت تلك المكافأة السنوية حتى عهد حفيده السلطان سعيد بن سلطان(١).

- العلاقات الخارجية:

وذلك أنه بعد ما أعاد لعُمان هيبتها ومكانتها كدولة قوية أصبح مهيب الجانب مرغوب الصداقة، وقد فرضت العلاقات الخارجية نفسها على

١) عبدواني، المصدر السابق، ص (٦٦).

حكومته، حيث أنه أقام علاقات صداقة وتعاون مع حكام مقاطعات شبه القارة الهندية، وكذلك مع الدولتين العظميين آنذاك، بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تتنافسان على السيطرة على الملاحة والتجارة العالمية، لا سيما بعد خروجهما من حرب السنوات السبع ١٧٥٦ – ١٧٦٣م(١). وكان على الإمام أحمد أن يوازن في علاقاته مع كل منهما، ولا شك أن الموقف كان فيه من الحرج ما فيه في بعض الأحيان نتيجة التنافس بين الدولتين المذكورتين، وما كان يحدث بينهما من مطاردات للسفن الحربية التابعة لكل منهما، وهو أمر يحتاج إلى سياسة ودهاء وخبرة بالأوضاع والأحوال، وعلى العموم فقد لخص الإمام السالمي صفاته وأعماله بقوله: (وكان صاحب همة عالية، ومطلب سام، وجرأة وإقدام، فصار ملك عُمان كله إليه إلا ما شاء الله، ودانت له القبائل، وسكّن الحركات، وأطفأ كثيراً من الفتن، وأمر ونهى، وقام بأمر الدولة، وأعطى المملكة حقها، ودافع العجم، واستراحت الرعية، وتجدد الملك، فكانت أيامه أيام راحة واستراحة بعد الفتن والمحن"(٢). وقد شهدت عُمان في عهد دولة البوسعيد بدءاً من الإمام أحمد بن سعيد تحولات سياسية واجتماعية، وهو ما سنتحدث عنه في المطلب الثاني.

---

١) عبدواني، نفس المصدر، ص (٧٠).

٢) السالمي، المصدر السابق، ص (١٧٢).

المطلب الثاني: التحولات السياسية والاجتماعية:

شهدت عُمان في عهد دولة البوسعيد تحولات سياسية واجتماعية نظراً لما استجد من أحوال، وما تغير من أوضاع، حيث أن لكل زمان ظروفه وخصائصه، ومن تلك الأحوال السياسية والاجتماعية:

١ – نقل العاصمة: فقد اتخذ الإمام احمد الرستاق عاصمة لحكمه(١)، حيث عقد له بالإمامة فيها، ولكن ما هو السبب في اتخاذ مدينة الرستاق عاصمة؟، بعد أن كانت العاصمة في الغالب من الزمان هي نزوى، كما اتخذ سيف بن سلطان مسقط عاصمة لحكمه، من وجهة نظري هناك عدة أسباب منها:

- أن نزوى والمناطق الداخلية والشرقية والظاهرة كانت لا تزال تحت نفوذ اليعاربة والقبائل الموالية لهم، أو على الأقل المتعاطفة معهم.
- قرب الرستاق من مسقط، وهي العاصمة التجارية التي اتخذها سيف بن سلطان عاصمةً لحكمه.
- قرب الرستاق أيضاً من صحار المدينة البحرية المشهورة التي صعد منها الإمام أحمد إلى الحكم، وإلى الشهرة، والتي دافع عنها الاحتلال الفارسي باستماتة باسلة.

---

١) ابن رزيق، المصدر السابق، ص (٣٥٣).

- بعد الرستاق نسبياً عن البحر، الأمر الذي يتفادى به الغزوات البحرية المحتملة.
- تميز الرستاق بموقعها الحصين، وطبيعتها الجميلة، وأرضها الفسيحة، واشتمالها على العديد من البلدان والقرى.
- تعتبر عاصمة إقليمية في محيطها.

ولعل هناك أسباباً أخرى جعلت الإمام أحمد أن يتخذ من مدينة الرستاق عاصمةً له.

٢ – السلطة المطلقة في إدارة شؤون الدولة: ومن أهمها التصرف في بيت المال أخذاً وعطاءً، وقد كان الأئمة اليعاربة أكثر تقيّداً بأراء علماء الدين، حتى أن مخصصاتهم المالية كانت تفرض لهم من قبل علماء الدين من عهد الإمام ناصر بن مرشد وإلى الإمام سيف بن سلطان الأخير، وعندما طلب هذا الأخير زيادة مخصصاته المالية رفض شيخ المسلمين آنذالك سعيد بن بشير الصبحي(١) ت (١١٥٠ هـ / ١٧٣٨ م) قائلاً: (لا بل فريضة آبائه، لأن العاقدين الإمامة لجده الإمام ناصر بن مرشد – رحمه الله – لم يألوا جهداً، ولم يتركوا اجتهاداً، ولو جاز لهم ووسعهم فوق الألف الذي جعلوه لما

١) هو سعيد بن بشير بن محمد بن ثاني الصبحي من نزوى من علماء القرن الثاني عشر الهجري، كان مرجع الفتيا في آخر عهد دولة اليعاربة، له أجوبة فقهية مجموعة تحت عنوان الجامع الكبير من أجوبة العلامة سعيد بن بشير، سيف بن حمود البطاشي، اتحاف الأعيان، ج٣، ص (٤٩).

بخلوا عليه من الزيادة ولو لكل يوم ألف، ولو جاز لهم ذلك لجاز للإمام قبوله منهم إذ لا غرم عليهم في أموالهم، ولا دخل على الإمام في قبوله منهم، إذ صار العطاء المفروض في بيت مال الله، ولو جاز لهم ما اختاروه لجاز للإمام ما فرضوه، وأرجو أنهم أخذوا ما فعلوا تأويلاً من قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان:٦٧]، والقوام العدل بين الأمرين، فخذها سيدنا فريضة هنية، وهبة برية لا وبية خارجة على حكم التقية، ولا أعلم أن جدك الإمام سلطان بن سيف، ولا جدك سيف، ولا عمك بلعرب، ولا أباك سلطان طلبوا، ولا أخذ أحد منهم زيادة على ما مضى عليه إمامهم ناصر بن مرشد وتلك فريضة كافية، ومات عليها الأسلاف، ولا أريد لك خلاف ما عليه السلف، فهذا اختياري، والجهدة مني، ولا خفت في أمرك لومة لائم، بل اخترت لك ما اختاره الله لمثلك من الأئمة، واختار المسلمون لهم ذلك نظراً ومعونة وموافقة لكتاب ربهم(١).

ونستنتج من هذا أن بيت المال لم يكن تحت الخضوع المباشر للأئمة في ذلك الوقت، وإنما هو تحت إشراف علماء الدين، عكس ما كان عليه الحال في الدولة البوسعيدية، فقد كان الإمام أحمد بن سعيد ومن بعده من حكام دولة البوسعيد لهم السلطة المطلقة على بيت المال دون قيد أو

١) تحفة الأعيان، ج٢، ص (١٤٢).

شرط، وذلك أنه عندما جاء أحد الأشخاص إلى الإمام أحمد يطالبه بمبلغ من المال قدره ألف محمدية(١) فضة، بعث الإمام أحد خدمه إلى المنزل ليحضر له كيساً من النقود فيه المبلغ المطلوب، غير أن ذلك الخادم أخطأ في الكيس فأحضر كيساً فيه دنانير ذهبية، وأمره الإمام بإعطائها الشخص المطالب، وعندما اكتشف أن الكيس به دنانير ذهبية تفوق حقه بكثير رجع إلى الإمام وأخبره بذلك، فما كان من الإمام إلا أن قال له: هو لك، رزق من الله(٢).

كما أن أحد وكلاء بيت المال أثرى ثراءً واسعاً خلال عامين فقط من توليه منصبه، وعندما أخبر الإمام بذلك وسأله قائلاً: أصحيح ما يقول الناس؟، فأجابه ذلك الوكيل: نعم لقد عثرت على كنز، وعندما سأله الإمام عن الكنز في أي موضع عثر عليه، أجابه في المكان الذي أنت فيه الآن قاعد، يشير بذلك إلى الإمام نفسه بأنه هو الكنز، فما كان من الإمام إلا أن تبسم وقال له: ذلك رزق الله إليك فاشكر الله وأحمده على ما أعطاك(٣).

---

١) تحفة الأعيان، ج٢، ص (١٤٢).

٢) نفس المصدر، ن، ص.

٣) نفس المصدر، ن، ص.

٢ – استمالة الزعماء والوجهاء والأعيان بالمصاهرة واستعمال اللين والمسامحة عن الأخطاء والجنايات التي يرتكبونها، فقد أصهر الإمام أحمد إلى ناصر بن محمد الغافري(١) زعيم قبائل الظاهرة، حيث تزوج الإمام ابنته(٢)وهذه سياسة حكيمة منه لتأليف ذلك الزعيم، ولتسكين الفتن والنزاعات ضده.

وعندما امتنع بعض زعماء الرستاق عن الحضور لصلاة الجمعة مستنكراً بعض الأمور التي حدثت من بعض أتباع الإمام، ذهب الإمام أحمد إلى منزل الزعيم مستفسراً عن عدم حضوره صلاة الجمعة، ولما أخبره بالأمر ما كان من الإمام إلا الاستجابة لمطالبه(٣).

وقد أساء إليه بعض أولئك الزعماء والأعيان، إما بالخروج عليه عسكرياً، أو بالفرار والهروب من بعض الالتزامات تجاه الإمام، ولكن عندما يلقون

---

١) هو الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر الغافري، عمل والياً للإمام سلطان بن سيف الثاني اليعربي على البحرين، وعندما انتهت دولة اليعاربة أو أوشكت على النهاية هجم الفرس على البحرين فصالحهم على تسليمها إليهم مقابل أموال طائلة أعطوها له، وجاء بها إلى عمان، واستطاع بذلك بناء بعض الحصون في منطقة الظاهرة، الأمر الذي مكنه من بسط سيطرته على قبائلها، وأصبح زعيمها القوي، كيف لا، وأبوه هو الإمام محمد بن ناصر الغافري الذي مر ذكره، ابن رزيق، الفتح المبين، ص (٣٣٦).

٢) نفس المصدر، ص (٣٣٧).

٣) نفس المصدر، ص (٣١٢).

إليه بأيديهم طالبين العفو والمسامحة لم يكن منه إلا العفو والمسامحة[1] تجاههم، وهذه سياسة وحكمة منه لكي يتألفهم، لأن في استعمال الشدة تكون النفرة، والرفق ما دخل في شيء إلا زانه، أما العنف فما دخل في شيء إلا شانه، ونتيجة لهذه التحولات السياسية والاجتماعية في عهد دولة البوسعيد، كانت لها خصائص سنتحدث عنها في المطلب القادم.

١) نفس المصدر، ص (٣٢٨ – ٣٣٢).

المطلب الثالث: الخصائص الحضارية:

ليس هنالك فرق كبير بين الخصائص الحضارية للدولة البوسعيدية عن غيرها من الدول التي سبقتها لا سيما دولة اليعاربة، وإنما هنالك تشابه في كثير من الأمور، بل في أغلب الأمور إلى حد كبير، وذلك راجع إلى وحدة المصدر، ووحدة المنبع، لكون حضارة الدولة الإسلامية في عُمان منذ إسلامها حتى يومنا هذا هي حضارة إسلامية ذات خصائص إيمانية، إنسانية، أخلاقية، علمية.

وإذا كانت هنالك بعض الخصائص الحضارية تميزت بها الدولة البوسعيدية عن سابقاتها من الدول في عُمان، فإنما ذلك نتيجة تطوّر حركة الحياة ومستحدثاتها، ومن تلك الخصائص الحضارية:

- اتخاذ عاصمتين:

شهد التاريخ العُماني وجود عواصم سياسية متنقلة، كصحار ونزوى، والرستاق، وبهلا، ومسقط، إلا أن وجود عاصمتين في آنٍ واحد لم يحدث إلا في عهد دولة البوسعيد، حيث اتخذ الإمام أحمد من الرستاق عاصمته السياسية، بينما كانت مسقط هي العاصمة الاقتصادية، وكان يتنقل بينهما، غير أنه كان أكثر مقامه بالرستاق، وإنما كان يأتي إلى مسقط لتفقد أحوالها، ومحاسبة القائمين على الجمارك لمعرفة الدخل والمصاريف، حتى إذا وصل إلى مسقط ودخل بيت الجريزة، ترادف ضرب المدافع من الصيرتين والمراكب

والحصنين، فيبرز للناس فتأتيه الرعية أفواجا على ترتيب، فيسلمون عليه، فيرد عليهم السلام، ثم يسألهم عن حوائجهم فيقضيها لهم، ثم يدخل بيته، ويبعث بعد يومين إلى الوكلاء والواليين، خميس بن سالم وخلفان بن محمد، فيقول لهم هذه السنة لنا أم علينا من المدخول بعد المخروج، فيخبرونه عن ذلك(١).

أما المقابلات الرسمية لمندوبي الدول فكانت تتم في الرستاق، حيث استقبل الإمام أحمد مبعوث ملك النواب حاكم ميسور – إحدى مقاطعات الهند – الذي جاء لتأكيد علاقات الصداقة بين حاكم ميسور والإمام (٢) أحمد، أما السيد سعيد بن الإمام فقد جعل الرستاق أيضاً عاصمة لحكمه، بينما كان ولده حمد بن سعيد الذي كان قائماً بشؤون الحكم عن والده مقره مسقط.

وفي عهد السلطان سعيد بن سلطان فقد توسع الأمر عن ذلك، حيث جعل زنجبار بشرق أفريقيا عاصمةً ثانية للمملكة العُمانية، وذلك في سنة ١٨٣٢ م، بينما ظلت مسقط هي العاصمة الأولى، وذلك نتيجةً لاتساع المملكة على عهده، والتي شملت قسماً من آسيا وقسماً من شرق أفريقياً، فكانت مملكة عربية آسيوية أفريقية.

---

١) الفتح المبين، ص (٣١٤).

٢) عبدواني، مصدر سابق، ص (٦٨)، وانظر ابن رزيق، الفتح المبين، ص (٣٢٨).

- البناء:

شيدت في عهد الدولة البوسعيدية العديد من المباني كالقلاع والحصون، وقد تميزت الحصون في هذا العهد بأنها ذات طابع حربي وسكني، بمعنى أن المبنى يكون حصناً حربياً وقصراً سكنياً في آنٍ واحد، وقد أضاف الإمام أحمد إضافات على حصن الرستاق من حيث إنشاء بعض البروج والغرف السكنية، كما أعاد بناء بيت النعُمان في بركا، وقد بنى السيد حمد بن سعيد بن الإمام حصن بيت الفلج الذي أصبح الآن متحف القوات المسلحة بالعاصمة مسقط، كما بنى بيت الرديدة في بركة الموز التابعة لولاية نزوى، أما السلطان سلطان بن الإمام فقد بنى حصن الفليج بولاية بركا، والذي أقيم به حالياً مسرح للفنون، وقد توسع البناء في عهد السلطان سعيد بن سلطان(١)، فشهدت مسقط بناء العديد من القصور، كما شهد عهد دولة البوسعيد بناء العديد من المباني الكبيرة والقصور الفخمة من قبل أهل الغنى واليسار، وهي منتشرة في أنحاء عُمان، الأمر الذي نستنتج منه وجود رخاء في العيش، وازدهار اقتصادي، لذلك قام الميسورون بتشييد المباني الواسعة، ولا أريد هنا أن أسجل وصفاً هندسياً لأشكال البناء فإنه ليس من اختصاص هذا البحث، ويكفي أن أشير إلى أن المباني العُمانية كانت تتميز

١) عمان في التاريخ، ص (٢٥٩).

بخصائص ثلاث هي: الأسقف الخشبية المزخرفة، وكثرة النوافذ، وتقويس المداخل والردهات.

أما في هذا العهد، عصر النهضة المعاصرة، فقد شهدت سلطنة عُمان طفرة معمارية واسعة، حيث تنتشر العمارات والوحدات السكنية وفق أشكال هندسية متنوعة، وذات طابع حضاري معاصر.

- توسع النفوذ العُماني:

شهد عهد الدولة البوسعيدية توسعاً في الفتوحات، وتم إخضاع أجزاء واسعة من آسيا وأفريقيا للسيطرة العُمانية، وقد عمل الإمام أحمد بن سعيد على المحافظة على المناطق الشرق أفريقية التي سيطر عليها اليعاربة، أما ولده السلطان سلطان ابن الإمام فقد استولى على أجزاء من آسيا، حيث استولى على البحرين، كما استولى على مناطق على الضفة الشرقية من خليج عُمان والخليج العربي تمتد من جواذر جنوباً وإلى بندر عباس شمالاً، والجزر الواقعة بين ضفتي الخليج(١).

وقد عمل السلطان سعيد بن سلطان على بسط سيطرته على شرق أفريقا، وخاض من أجل ذلك حروباً، لاسيما مع المزاريع الذين حاولوا الاستقلال

١) ابن رزيق، مصدر سابق، ص (٣٧٨).

بإمارة ممباسا(١)، وبعد حروب معهم خضعت له ممباسا، وعندما حاولوا إعادة سيطرتهم عليها تمكن من القضاء عليهم نهائياً، وخضعت له أجزاء واسعة من شرق أفريقيا، تمتد من مقديشو بالصومال شمالاً وحتى جزر القمر جنوباً، والى البحيرات الوسطى غرباً(٢)، وقد عبر أحد الشعراء عن ذلك النفوذ الواسع بقوله:

إن تعالى المزمار في زنجبار رقص الناس في البحيرات رقصاً

كناية عن التوسع العربي العُماني في مناطق الشرق الأفريقي، لذلك استطاع السيد سعيد بن سلطان إنشاء إمبراطورية عربية إسلامية آسيوية أفريقية، ونتيجة لذلك اتخذ الوجود العربي العُماني بعداً أوسع، حيث كان التعمق إلى داخلية القارة الأفريقية، أو ما يسمى بمناطق البر الأفريقي، وأخذت القوافل التجارية العُمانية تشق طريقها في أدغال القارة السوداء، منطلقة من باغامويو وباغاني إلى تبورة التي تقع في تنجنيقا، ومن تبورة اتجهوا غرباً وجنوباً إلى الوجيجي وكجوما، ثم إلى الكونغو، وشمالاً اتجهوا إلى موانزا، ثم عبروا بحيرة فيكتوريا التي كانت تعرف ببحيرة نيانزا، ثم إلى بوكوبا وانجاره،

١) ممباسا إمارة كبيرة. وهي تعتبر كرسي شرق أفريقيا سياسياً واقتصادياً، وقد بنى البرتغاليون بها قلعة عظيمة، وكانت تتبع إمارة ممباسا أقاليم أخرى، وتقع ممباسا حالياً في دولة كينيا.

٢) المغيري، سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص (١٥٩)، جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا، ص (٢١١).

ثم توغلوا إلى رواندا وبروندي، وأوغنده، وهكذا أنشأ العُمانيون شبكة طرق في أدغال القارة الأفريقية، حتى أن الدول المستعمرة التي جاءت بعدهم اعتمدوا تلك الطرق وخطوط السير عندما أنشأوا سكك الحديد وطرق المواصلات الأخرى(١).

وتتويجاً لهذا التوسع والنفوذ جعل السيد سعيد جزيرة زنجبار عاصمةً ثانية لمملكته المترامية الأطراف في عام ١٨٣٢ م.

وأصبح يتنقل بين مسقط، عاصمة القسم العربي الآسيوي، وجزيرة زنجبار، عاصمة القسم الأفريقي من مملكته، وتطور الأمر بزنجبار وارتقى بها الحال، وازدهرت بها التجارة والزراعة، وصارت قوة اقتصادية، حتى غدت محط أنظار العالم دولاً وشعوباً، وهناك عقدت معاهدات الصداقة بين السلطان سعيد وكثير من دول العالم، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية(٢)، كما أقيمت بها العديد من السفارات والقنصليات للدول الأخرى، وقد هاجر إليها الكثير من الأجناس البشرية من العرب وغيرهم(٣)، طلباً للرزق واستقرار الحياة.

---

١) عمان في التاريخ، ص (٤٩٤).

٢) جهينة الأخبار، ص (١٦٣)، دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا، ص (٢٢١).

٣) صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم، زنجبار، ص (٦٢)، مكتبة الانجلومصرية، القهرة، المغيري، المصدر السابق، ص (١٦٥).

- التأثير الحضاري العُماني:

كان للوجود العُماني لا سيما في أفريقيا الشرقية تأثير حضاري يتمثل في الأمور التالية:

١ – نشر الإسلام:

كان من نتيجة الوجود العُماني في شرق أفريقيا، واختلاطهم مع السكان هنالك أن انتشر الإسلام بين الأفارقة الذين أصبحوا رصيداً جيداً للإسلام، وسنداً قوياً للمسلمين.

على أن انتشار الإسلام بين أولئكم الأفارقة يرجع إلى عاملين اثنين:

- أحدهما: عامل العُمانيون السكان في شرق أفريقيا بمنتهى الإنسانية وحسن المعاملة، ووجد الأفريقي في الرجل العُماني الصدق والأمانة والمراعاة، وعدم الاستعلاء، وبما أن العُمانيين جميعهم اشتغلوا بالتجارة فإنهم أينما حلوا بدأوا بإنشاء المساجد، ثم قاموا بتخطيط الأسواق ووضع المحلات التجارية والمساكن وتوزيعها حول المسجد.

والزائر الذي يزور تلك المناطق ويتجول في أسواقها يشاهد المسجد قائماً في وسط السوق والمحلات التجارية والمساكن من حوله، ترتفع منه كلمة التوحيد وشعار الإسلام.

- وثانيهما: الدعوة إلى الإسلام: فقد قام بعض التجار العُمانيين بالدعوة إلى الإسلام وتوضيح معالمه وتبيين مبادئه للناس.

ومن بين أولئكم التجار، الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري الذي وفقه الله إلى دعوة الملك الكباكا سونا ملك أوغندا إلى الإسلام، وله في ذلك قصة ظريفة وعجيبة، وذلك أن الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري كان يتردد على داخلية البر الأفريقي، أوغندا وما جاورها يحمل البضائع من زنجبار، وقد شاء الله أن يكون في وقت من الأوقات في ضيافة الملك الأوغندي (سونا) الذي يطلق عليه الكباكا، وبينما كان الشيخ العُماني جالساً مع الملك شاهد مجموعة من الفتيان الشباب قد أحضروا بطريقة غير عادية، فسأل عن ذلك فقال له الملك أن هؤلاء قد أحضروا لذبحهم وفقاً لطقوس دينية وثنية سائدة عندهم، عند ذلك لم يتمالك الشيخ العربي المسلم من إنكار ذلك الفعل المنكر الشنيع، وتجرأ على الملك قائلاً له إن هذا الفعل مجانب ومنافٍ للإنسانية ولا يجوز عند الله، وذكره بالله تعالى، وبأن لهؤلاء رباً معبوداً هو الله جل جلاله.

هنالك أخذ الملك يسأل عن الإله جل جلاله، فأخذ الشيخ يخبره عن الله وما يجب له من التوحيد إلى غير ذلك مما توجبه الدعوة إلى الله.

فما كان من الملك إلا أن رق قلبه وخضعت نفسه وخشعت جوارحه واعتنق الإسلام وأمر أهله وحاشيته بالدخول في الإسلام.

على أن هنالك أشخاصاً آخرين كان لهم دور أيضاً في الدعوة إلى الإسلام، نذكر منهم عبد الله بن حمود وخميس بن سالم اللذين كانا مندوبين للسلطان برغش بن سعيد في أوغندا، فقد كانت لهما جهود موفقة ومشكورة في نشر الإسلام(١)، وصاحب ذلك انتشار بناء المساجد.

٢ – الحكم والإدارة:

من المعلوم أن سكان أفريقيا كانوا لم يتعودوا الحكم والإدارة وأنظمتها، وإنما كانوا عبارة عن تجمعات قبلية يحكمهم زعماء أو سلاطين حكماً قبلياً قائماً على التعارف والعادات.

ونتيجة للهجرات العُمانية إلى أفريقيا الشرقية فقد صار لهم وجود هنالك، وبالتالي نتج عنه وجود أطر للحكم والإدارة، وقد مر نظام الحكم بثلاثة أنماط:-

- تكوين إمارات عربية إسلامية على المدن الساحلية الكبيرة والرئيسية، كل إمارة لها استقلالها عن الآخرى، وعلى رأس كل إمارة أمير يحكمها، وأحياناً يطلق عليه ملك، وهذا النمط في الحكم كان سائداً قبل وصول البرتغاليين(٢).

---

١) عمان في التاريخ، ص (٥٠٠).

٢) صلاح العقاد، جمال زكريا، زنجبار، ص (٧).

- تعيين الولاة وتبعيتهم للدولة اليعربية في عُمان، وهذا النمط اتخذ بعد أن أخرج العُمانيون البرتغاليين من شرق أفريقيا وأخذوا منهم المدن والمواقع التي كان البرتغاليون قد استولواعليها، حيث عيّن الأئمة اليعاربة ولاة من قبلهم على العديد من مدن الساحل الأفريقي، وهكذا كان الأمر في بداية عهد دولة البوسعيد حتى عهد السيد سعيد بن سلطان(١).
- الحكم المباشر من قبل السلاطين البوسعيد منذ عهد السيد سعيد ابن سلطان (١٨٠٦- ١٨٥٦ م) الذي أعطى اهتماماً كبيراً لمنطقة أفريقيا الشرقية، وتوّج ذلك الاهتمام بأن اتخذ من زنجبار عاصمةً للمملكة الأفريقية، وصارت زنجبار العاصمة الثانية للإمبراطورية الآسيوية الأفريقية بجانب مسقط العاصمة الأولى لتلك الإمبراطورية وتشرف على الممالك الآسيوية كما ذكرنا من قبل(٢).

وفي هذه الفترة – أي فترة عهد الدولة البوسعيدية في أفريقيا الشرقية تطور نظام الحكم والإدارة، حيث صدرت العديد من المراسيم والقوانين واللوائح التنظيمية التي تنظم شئون الدولة وأمور الرعايا.

---

١) نفس المصدر، ص (٣٣).

٢) المغيري، مصدر سابق، ص (١٣٩).

ولعل من أهمها ذلك المنشور الذي أصدره السلطان ماجد بن سعيد (١٨٥٦ – ١٨٧٠ م) وهو بمثابة الدستور أو النظام الأساسي، فقد حدد ذلك المنشور علاقة الحاكم بالمحكوم، وما يجب على الحاكم وما يجب على المحكوم، كما تطرق إلى وضع شرائح المجتمع من حيث أعراقهم وديانـاتهم، حيث كفل لهم ذلك المنشور حرياتهم الدينية والاجتماعية(١).

وظهرت هيكلة الدولة الإدارية، فهناك الوزراء والمستشاريون وأمناء السر في التخصصات المدنية والعسكرية.

كما شهدت هذه الفترة وجود العديد من سفراء وقناصل الدول لا سيما الدول الأوربية.

وظهرت المباني الحديثة مزودة بالخدمات اللازمة التي خصصت كمقرات للأجهزة المدنية والعسكرية والسياسية التي لا تزال موجودة ومستعملة حتى اليوم.

ويقف بيت العجائب في زنجبار، الذي بناه السلطان برغش بن سعيد بفخامته وبهائه شاهداً حياً على الازدهار الحضاري لذلك العهد العربي المجيد، وقد استعمل كمقر للحكومة.

---

١) نفس المصدر، ص (٢١١).

٣ – الثقافة:

صاحب الوجود العُماني في أفريقيا الشرقية حركة ثقافية نشطة تمثلت في:

أ – التعليم: قام العرب العُمانيون بنشر العلم عبر الوسائل المختلفة، ومن أهمها التعليم، ونتيجة لوجود عدد كبير من العلماء الذين انتقلوا من عُمان إلى شرق أفريقيا فقد انتشرت حلقات العلم في المنازل وفي المساجد، كما أنشئت المدارس التي أخذت تعنى بنشر العلم والتعليم، وهناك المعهد الإسلامي في زنجبار الذي تخرج منه عدد غير قليل ولا يزال خريجوه يتبوأون مناصب في أفريقيا الشرقية – تنزانيا وكينيا وجزر القمر وكذلك في سلطنة عُمان، وهناك أيضاً مدرسة الشيخ سعيد بن علي المغيري في منطقة (ويته) في الجزيرة الخضراء (بمبا).

ب – التأليف: شهدت زنجبار والجزيرة الخضراء (بمبا) حركة نشطة في التأليف فقد ألفت العديد من المؤلفات في مختلف فنون العلم قام بتأليفها علماء أجلاء لهم أقدام راسخة في فنون العلم واللغة والأدب، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي والشيخ أبا مسلم ناصر بن سالم البهلاني الرواحي والشيخ سيف بن ناصر الخروصي والشيخ محمد بن علي المنذري والشيخ علي بن محمد المنذري وغيرهم، كما صاحب حركة التأليف حركة أخرى هي نسخ الكتب، فالكثير من الكتب العربية تم نسخها في شرق أفريقيا، حيث

كان يوجد عدد من النسّاخ ذوي الخطوط الجيدة الممتازة، وكان للشعر العربي وجوده وحضوره على الساحة الاجتماعية في أفريقيا الشرقية، فهناك شاعر العرب أبو مسلم البهلاني وسيف بن ناصر الخروصي وعبد الرحمن بن ناصر الريامي وسليمان بن علي الريامي وهلال بن سعيد بن عرابة وغيرهم.

ج - الطباعة: وجدت في زنجبار مطبعة عربية في عهد السلطان برغش بن سعيد – أي منذ ما يزيد على مائة عام – في حين أن كثيراً من الدول العربية والإسلامية لم تشهد وجود مطبعة في ذلك الوقت، وكان لوجود تلك المطبعة أثر جيد في نشر الثقافة العربية الإسلامية، فقد طبعت العديد من الكتب والمجلات والصحف، وترسخت بذلك الثقافة العربية الإسلامية في ربوع الشرق الأفريقي، بل وصل أثرها الطيب إلى عُمان وغيرها حيث استفاد خلق كثير من قراءة تلك المطبوعات من الكتب والمجلات والصحف (١).

ث – الصحافة: من معالم الحركة الثقافية في شرق أفريقيا وجود الصحافة العربية في زنجبار، فالوجود العربي في أفريقيا الشرقية استطاع أن يواكب بلدان العالم المتنورة، فقد أصدر أصحاب الفكر والأدب

١) عمان في التاريخ، ص (٥٠٤).

والعلم عدداً من الصحف، مثل صحيفة النجاح وصحيفة الفلق وصحيفة النهضة(١).

٤ – الزراعة:

أدخل العُمانيون التحسين الزراعي في شرق أفريقيا، حيث أنشأوا البساتين وغرسوا الأشجار والخضروات، وجلبوا إليها أنواعاً من ذلك من أماكن شتى، بعضها من عُمان والبعض الآخر من الهند ومن جزر المحيط الهندي، ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى شجرة القرنفل، تلك الشجرة المباركة التي أصبحت مصدر الدخل القومي ليس في زنجبار فحسب وإنما في الشرق الأفريقي كله، وشجرة القرنفل تم إحضارها وغرسها في عهد السلطان سعيد بن سلطان، فقد أمر بإحضارها وجلبها من إحدى جزر المحيط الهندي، وصارت في زنجبار والجزيرة الخضراء أفضل ما تكون وفاقت نظيرتها في الأماكن الأخرى في مناطق المحيط الهندي(٢).

وهكذا قام العُمانيون باستصلاح الأراضي وتهيئتها للزراعة، فتحولت تلك الغابات المخيفة الموحشة إلى واحات غناء وبساتين زاهية يرتاح

---

١) نفس المصدر، ص (٥٠٥).

٢) المغيري، مصدر سابق، ص (١٤٣).

النظر إليها، وتبتهج النفوس لرؤيتها، فهي حدائق ذات بهجة، فقد نقلوا أنواعاً من أشجار الأمبا (المانجو) من الهند إلى مناطق الشرق الأفريقي، كما نقلوا إليها أيضاً فسائل النخيل من عُمان، وقد رأيت في منطقة (تبوره) في البر الأفريقي تلك الواحات الجميلة من النخيل والمانجو تمتد لمسافات شاسعة على مد البصر، وعرف الأفارقة بفضل جهود العُمانيين فنون الزراعة، كزراعة الفواكه والخضار والحبوب، وعرفوا حرث الأرض واستصلاحها وفلاحتها، وما ذلك إلا بفضل الجهود الجبارة والعظيمة التي قام بها أولئك العرب.

٥ – التجارة:

اهتم العُمانيون بالتجارة اهتماماً كبيراً، وهم الذين أنشأوا الطرق التجارية بين الداخل والساحل.

وكانت القوافل التجارية تسلكها جيئةً وذهاباً من المدن والموانئ الساحلية إلى المناطق الداخلية في البر الأفريقي، وصارت تلك الطرق معروفة للتجار، وازدهرت بذلك الحركة التجارية بين مناطق شرق أفريقيا، وبينها وبين مناطق العالم استيراداً وتصديراً، وعمّ الرخاء والرفاهية جميع السكان، حتى غدت نعومة العيش السمة السائدة هناك آنذاك، وأصبحت نضارة الحياة واضحة مشاهدة، وعمل السكان الأفارقة مع العُمانيين في التجارة، حيث استعملهم العُمانيون في تجارتهم،

واكتسب الأفارقة بذلك خبرة ودراية في مجال التعامل التجاري بعد أن كانوا لا يعرفون شيئاً عنها (١).

٦ – العادات والتقاليد:

وأخيراً الوجود العُماني في أفريقيا الشرقية كان له دور في الحياة الاجتماعية والسلوك الاجتماعي من حيث العادات والتقاليد في اللباس والمأكل وبقية مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى مثل الأفراح والأعياد والأعراس(٢).

لذلك يجد المرء تشابهاً واضحاً في العادات والتقاليد والسلوك بين أهل عُمان وأهل شرق أفريقيا من الصومال شمالاً وحتى جزر القمر جنوباً، ولقد قال فخامة الرئيس سيد محمد جوهر رئيس جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية السابق أثناء مقابلته لنا في شهر أغسطس ١٩٩٢ م: (لا تتعجبوا إذا رأيتم اللباس هنا في جزر القمر لباساً عُمانياً، فإن هذا دليل على العلاقة التاريخية التي تربط عُمان وهذا البلد).

---

١) عمان في التاريخ، ص (٤٩٢).

٢) نفس المصدر، ص (٤٩٧).

كل ذلك كان له أثره في تطور وتوسع بيت المال في عُمان، نتيجة ذلك العمل التجارى والزراعي، وصار بيت المال قادراً على الإنفاق لإشباع حاجات الناس.

الفصل الثاني

أصول بيت المال في عُمان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة بيت المال في عُمان

المبحث الثاني: الطرق التي تكونت منها

أصول بيت المال في عُمان

المبحث الثالث: الصوافي

المبحث الأول

نشأة بيت المال في عُمان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف والنشأة

المطلب الثاني: روافد بيت المال في عُمان

المطلب الثالث: أصول بيت المال

المطلب الأول: التعريف والنشأة

الظاهر أنه لا يوجد تعريف لفظي لبيت المال، وإنما هو تعبير إسلاي، وهو اسم لكل مال استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال(١).

ومعناه أعم واشمل من معنى الصافية، وغيرها من الأموال مجهولة الأرباب(٢).

وذلك أن بيت المال يشتمل على الصوافي وخزينة الدولة، وسائر أملاك الدولة من عقارات ومنقولات.

ولكن السؤال هو هل كانت نشأة بيت المال على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – أم أنها كانت بعده؟

يذهب بعض الباحثين إلى عدم وجود بيت المال في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الحاجة لم تكن ماسة لوجود بيت المال، حيث أن الحياة كانت بسيطة لا تعقيد فيها، فكانت الإيرادات من الغنائم والزكاة وغيرها، ترد للدولة، وتوزع في الحال على المستحقين،

١) الماوردي، على بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، ص ٢٦٦.

٢) السالمي، عبد الله بن حميد، معارج الآمال، ج١٥، ص ٥٣.

وقلما يتبقى منها شيء يزيد عن حاجة المستحقين، وحينئذٍ يحتفظ به الرسول لحين الحاجة إليه، وذلك لسببين:

الأول: أنه لم يكن في الدولة موظفون دائمون ينتظرون رواتب منتظمة، بل كان كل من يؤدي عملاً يأخذ أجره منه.

الثاني: أن مال الأغنياء من المسلمين كان يعتبر حصيلة لنشر الدعوة الإسلامية، فإذا حزب المسلمين أمر، حض الرسول أهل الغنى على النفقة والحملان.

وكذلك كانت الحال في عهد أبي بكر(١).

وفي رأيي أن نشأة بيت المال كانت على عهده – صلى الله عليه وسلم – وذلك أن معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي كان يكتب مغانم رسول الله، وعبد الله بن الأرقم بين القوم في قبائلهم ومياههم، كما أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يحصى له من دخل في الإسلام، فكتبوا له ألفاً وخمسمائة رجل(٢).

فإذا لم يكن هذا العمل يشكل بداية بيت المال في الإسلام، فما هو إذن؟

---

١) شلبي، أحمد، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٤، ص ١٧٩، مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

٢) الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص ١٣٧، دار الأنصار، القاهرة.

ويعتبر الفيء الذي أفاءه الله على رسوله – صلى الله عليه وسلم – من اموال بني النضير بداية أو نواة لما أطلق عليه (بيت المال)، تلك الأموال التي لم يوجف عليها المسلمون من خيل ولا ركاب، وإنما هي فيء أفاءها الله ورسوله خاصة ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر:٦]، فكانت لرسول الله خاصة، وكان – عليه الصلاة والسلام – ينفق منها على أهله وعياله نفقة سنة كاملة، وما يتبقى كان يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله(١).

وقد جاء في حديث مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب، حينما دخل عليه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب يتقاضيان عنده، فقال عمر: إني أحدثكم عن هذا الأمر أن الله كان خص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، فقال ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر:٦]

١) أبو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الأموال، ص ١٥، يحيى بن آدم، الخراج، ص ٣٦، دار المعرفة، بيروت.

فكانت هذه لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– خالصة، ثم والله ما اختارها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينفق على أهله سنتهم منه، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله(١) فعلى هذا فإن أول بداية لنشأة بيت المال في الإسلام كان على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –.

على أنه بجانب هذا الفيء الخاص، كانت هنالك أموال ترد على النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان – عليه الصلاة والسلام – ما يأتي عليه مال ولا طعام إلا فرقه من يومه، وإذا لم يقسم من يومه فلا يكون بقاؤه أكثر من أيامٍ ثلاثة (٢).

ومن مجموع ذلك نشأ الإطار المالي الذي عرف ببيت المال، وقد جرى على ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق، فكان إذا قدم عليه مال من البلدان أمر بإحضاره إلى مسجد النبي –صلى الله عليه وسلم– فقسمه على مستحقيه(٣)، كما أنه جعل من داره مكاناً لبيت المال(٤).

---

١) الأموال، ص ١٨، الخراج، يحيى بن آدم، ص ٣٦.

٢) الرئيس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية، ص ١٣٧، نقلاً عن الجهشياوي، الوزراء والكتاب.

٣) ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٨٨.

٤) ابن الأثير علي بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٩٠.

والظاهر أنه كان يحفظ في داره ما كان يبقى لديه من المال لوقت الحاجة.

ولما توفي أبو بكر جمع عمر بن الخطاب الأمناء، وفتح بيت المال، فلم يجدوا فيه سوى دينار واحد(١).

ونستنتج من هذا أن بيت المال على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – كان قد نشأ بشكل بسيط، وذلك لأن الأموال التي كانت ترد عليه – صلى الله عليه وسلم – قليلة، نظراً لعدم توسع الفتوحات الإسلامية خارج جزيرة العرب آنذاك، بمعنى أنه ليست هنالك فتوحات للبلاد الخصيبة، وهكذا كان الحال على عهد أبي بكر.

بيد أن الأحوال تغيرت، والأوضاع تبدلت على عهد عمر بن الخطاب، نتيجة الفتوحات الإسلامية التي توسعت على عهده، الأمر الذي نتجت عنه كثرة الأموال التي وردت إلى دار الخلافة، لذلك كان لابد من تطوير وتوسيع لذلك الإطار المالي الذي تم إنشاؤه على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم سار عليه خليفته أبو بكر، فأنشأ عمر الديوان (وأول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية عمر –رضي الله عنه–)(٢).

على أن السبب الذي حمل عمر على إنشاء بيت المال المتمثل في ديوان العطاء هو أن أبا هريرة قدم عليه من البحرين بمالٍ كثير، فسأله عمر: بم جئت؟

---

١) نفس المصدر، ن، ص.

٢) الأحكام السلطانية، ص ٢٤٩.

قال: جئت بخمسمائة ألف، قال له: أتدري ما تقول؟ أنت ناعس اذهب فبت حتى تصبح، فلما جاءه في الغد قال له: كم هو؟ قال: خمسمائة ألف درهم، قال: أمن طيب هو؟ قال: لا أعلم إلا ذلك، فقال عمر:

أيها الناس، قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عدا، فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين دوّن للناس دواوين يعطون عليها(١).

بينما تذكر بعض الروايات أن الهرمزان هو الذي أشار على عمر بذلك، حيث كان موجوداً حاضراً عنده، وهو يرسل بعثاً، فقال له الهرمزان: كيف تعرف من يتخلف منهم؟ فسأله عمر عن الديوان حتى فسّره لهم(٢).

وقيل إن عمر استشار المسلمين في تدوين الدواوين فأشار عليه علي بن أبي طالب بأن يقسم كل عام ما كان يجتمع عنده من مال، ولا يمسك منه شيئاً(٣).

على أن بعض الروايات تسند الأمر إلى الوليد بن هشام بن المغيرة، وبعضها إلى خالد بن الوليد، في الاشارة إلى وضع الديوان، لما شاهده كل منهما لدى ملوك الشام من تدوين الدواوين(١).

---

١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، ص ٤٧، وانظر، الأحكام السلطانية، ص ٢٤٩.

٢) الأحكام السلطانية، ص ٢٤٩.

٣) نفس المصدر، ص ٢٥٠.

وفي رأيي، فإنه لا يمنع من حدوث الروايات كلها، من إشارة الهرمزان، ووصف الوليد بن هشام أو خالد بن الوليد لما شاهده كل منهما عند ملوك الشام من دواوين موضوعة، ثم استشارة عمر بعد ذلك للمسلمين، فإن أمراً كهذا لابد وأن عمر أخذ يجمع الآراء حوله لأهميته وخطورته، نظراً لتعلقه بأموال المسلمين وحقوقهم.

وهذا الأمر يكون أكثر ظهوراً في الرأي القائل بالتوفيق بين الروايتين القائلتين بتوقيت إنشاء الديوان، حيث أن هناك رواية تقول أنه تم وضعه في السنة الخامسة عشرة للهجرة، بينما تقول الثانية بأنه وضع في السنة العشرين، وذلك الرأي التوفيقي القائل (ربما يكون بدأ التفكير في إنشاء الديوان في ذلك الوقت – أي السنة الخامسة عشرة – أما وضع الديوان بالفعل، وتقدير القواعد الدائمة التي يقوم عليها نظامه، فهذا إنما كان في السنة العشرين)(٢).

أما في الدولة العُمانية فلم يرد ذكر لبيت المال سوى في سيرة المنير بن النير الرياميّ(٣)، التى كتبها إلى الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي(١) (ت ٢٠٧

١) الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية في الدولة الإسلامية، ص ١٣٩.

٢) نفس المصدر، ص ١٤٠.

٣) المنير بن النير الرياميّ الجعلاني، من علماء القرن الثاني والثالث الهجريين، حمل العلم عن الربيع بن حبيب الفراهيدي، معدود من حملة العلم إلى عمان، له رسالة في بيان التمسك بالدين، وأجوبة فقهية، تحفة الأعيان، ج١، ص.

هـ)، يصف فيها سيرة الإمام الجلندى بن مسعود(٢) (ت ١٣٤ هـ) واصحابه، وقد جاء فيها (وكان المرء يرزق منهم سبعة دراهم في غلاء من السعر، فيصبر على القوت اليسير، رغبةً في الآخرة والثواب من عند الله، وقد بلغنا أنه ربما فضل مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده في فيء المسلمين)(٣).

والمقصود بالفيء هنا هو بيت المال، لأن الفيء اسم جامع للعديد من عناصر بيت المال(٤)،

أما قبل دولة الإمام الجلندى بن مسعود، فمن المعلوم أن عُمان كانت منذ أن أعلنت إسلامها تتبع النبي – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين، فقد أقر النبي – عليه الصلاة والسلام – جيفراً وعبداً ملكين على عُمان، وفعل ذلك الخلفاء الراشدون من بعده، وعندما استولى معاوية بن أبي

---

١) غسان بن عبد الله اليحمدي، من ائمة الحكم بعمان، بويع بالإمامة سنة ١٩٢ هـ، توفي سنة ٢٠٧ هـ، السالمي، نحفة الأعيان، ج١، ص ١٢٢ – ١٢٦.

٢) الجلندى بن مسعود من آل الجلندى ملوك عمان عند ظهور الإسلام، حمل العلم عن ابي عبيدة، مسلم بن أبي كريمة، وهو أول إمام حكم بعمان، بويع سنة ١٣٢ هـ، وقتل ١٣٤ هـ، السالمي، التحفة، ج١، ص ٧٨، ٩٧.

٣) السير والجوابات، مجموعة من العلماء، ص ٢٤٣.

٤) الشريف الجرجاني، على بن محمد، كتاب التعريفات، ص ١٧٧.

سفيان على الأمر استقل ملوك عُمان عن التبعية للدولة الأموية، بيد أن عبد الملك بن مروان تمكن من إخضاع عُمان للسيطرة الأموية بواسطة واليه الحجاج بن يوسف، وعقب انتهاء الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية تمكن العُمانيون من الاستقلال عن الدولة العباسية في عهد أبي عبد الله السفاح، حيث قدموا الجلندى بن مسعود إماماً لهم (١٣٢ – ١٣٤ هـ).

والسؤال هو هل هناك بيت مال في عُمان قبل عهد الإمام الجلندي بن مسعود؟. الآجابة على ذلك ستكون في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المطلب الثاني: روافد بيت المال في عُمان

لبيت المال في عُمان، روافد عديدة هي:

١ – الزكاة:

وهي أهم روافد بيت المال عبر مراحل تاريخ الدولة العُمانية، ومن المعلوم في الدين ضرورة الزكاة، فهي ركن من من أركان الإسلام، حيث جاءت مقرونةً بالصلاة في العديد من آيات الكتاب العزيز، وهي تؤخذ من مال المسلم مقابل حماية الدولة لحياته وماله.

وقد ابتدأ تطبيق جباية الزكاة في عُمان منذ الإسلام على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– فقد بعث –عليه الصلاة والسلام– عمرو بن العاص أميراً على الصدقة وبعث معه أبا زيد الأنصاري إماماً للصلاة(١)، وبعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان ولاة الخلفاء الراشدين وعمالهم يقومون بجباية الزكاة من أهل عُمان، وتذكر المصادر التاريخية العُمانية قصة حدوث المشاجرة التي وقعت في خلافة أبي بكر الصديق، عندما أرسل والي الخليفة على عُمان آنذاك – وهو حذيفة بن محصن الغلفاني – الجباة إلى منطقة (دبا) الواقعة شمال عُمان، وقد حدث بين أولئك الجباة وبين امرأة من أهل دبا

١) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، ص ٨٧.

اختلاف وسوء تفاهم، الأمر الذي كاد أن يؤدي إلى فتنة، حتى اعتبر البعض الحدث ردة عن الإسلام(١).

وبعد ذلك كانت الدولة في عُمان تبعث السعاة إلى جباية الزكاة حسب وقت زكاة كل صنف من أصنافها، حيث إنه من المعلوم أن الزكاة تؤخذ من أصناف عديدة، فهناك زكاة النقدين (الذهب والفضة)، وزكاة الثمار، وزكاة الحبوب، وزكاة التجارة، وزكاة الأنعام، ولكل صنف من هذه الأصناف نصابه ومقداره كما هو معروف في مصادر الفقه الإسلامي.

وتصرف الزكاة في المصارف الثمانية المحددة بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة:٦٠].

٢ – الجزية:

وهي بالكسر، لغة خراج الأرض، وما يؤخذ من الذمي(١)، وهي موضوعة على الرؤوس(٢)، والأصل في ذلك قوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ

١) البحراني، خلف بن زياد، مجموع سير المسلمين، مخطوط، وانظر العوتبي، الأنساب، ج٢، ص ٢٤٠، والسالمي، التحفة، ج١، ص ٦٩.

ٱلْأٰخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

[التوبة:٢٩]. وتؤخذ من أهل الكتاب كاليهود والنصارى وغيرهم من الطوائف والملل، ما عدا مشركي العرب الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل(٣).

على أنه يكون أخذ الجزية من أهل الكتاب وغيرهم إذا كانوا في ذمة المسلمين، أي في ذمة الدولة الإسلامية، مقابل التمتع بالعديد من الأشياء، منها حمايتهم أمنياً، وإعفاؤهم من القتال، وعدم إكراههم على الإسلام(٤).

ونظراً لوجود بعض أصحاب الطوائف الدينية من غير مشركي العرب في عُمان في بعض الأحيان، فإن الدولة كانت تقوم بأخذ الجزية منهم، على حسب ما هو مقرر في أحكام الشريعة الإسلامية. كما تؤخذ من مناطق الأطراف في الدولة، أي من المناطق الخاضعة للنفوذ العُماني، حيث أخذها

---

١) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ترتيب الطاهر الزاوي، ج١، ص ٤٩٠.

٢) الأحكام السلطانية، ص ١٨١.

٣) الأموال، ص ٣٩.

٤) الكتاني، عبد الحي، التراتيب الأدارية، ص ٣٩٢.

الإمام الجلندى بن مسعود في القرن الثاني الهجري[1]من نصارى جزيرة سقطرى[2].

ونستنتج من هذا مدى اتساع الدولة العُمانية آنذاك وقوتها ونفوذها.

٣ – الغنيمة:

وهي اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة بقوة الغزاة، وقهر الكفرة على وجه يكون فيه إعلاء لكلمة الله تعالى، وحكمه أن يخمس، وسائره للغانمين خاصة [3]، على أن يوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

والظاهر أنها في الأموال المنقولة[4]، أما العقارات فإنها تكون صوافي وأرض خراج كما حكم بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسماها عين المال[5].

---

١) الكندي، محمد بن إبراهيم، بيان الشرع، ج٦٩، ٨٠.

٢) جزيرة كبيرة في بحر العرب قبالة عدن، كانت يجلب منها الصبر ودم الاخوين، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٢٧.

٣) كتاب التعريفات، ص ١٦٨.

٤) الريس، الخراج والنظم المالية، ص ١١٣.

وكانت الغنائم تأتي إلى العُمانيين وإلى الدولة العُمانية نتيجة الحروب مع غير المسلمين، حيث خاضوا حروباً وغنموا منها أموالاً، جاء الحديث عنها في كتب الفقه والتاريخ العُمانية، ومن تلك الحروب حرب الإمام الصلت بن مالك[2]، مع نصارى جزيرة سقطري بعد أن نقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين، الأمر الذي حمل الإمام الصلت إلى إرسال حملة عسكرية بحرية كبيرة استطاعت استعادة الجزيرة إلى الحكم الإسلامي العُماني.

وقد أوضح الإمام في العهد الذي كتبه إلى قادة تلك الحملة العسكرية كيفية الحصول على الغنيمة وتوزيعها على النحو الشرعي، حيث قال: (فما غنمتم من سلاح أو طعام أو أنعام أو أثاث، فليس لأحد منكن أن يذهب منه شيئاً قليلاً ولا كثيراً، لا طعام ولا غيره، فأما الأثاث والطعام والأنعام وما ثقل عليكم فلا يمكن لكم حمله، فذلك يباع كله فيمن يزيد بالاجتهاد منكم في طلب غاية الثمن، ويتولى بيعه محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال، أو من شهد ذلك منهما، ثم يعزل خمس ذلك حتى يوصل إلي، وتقسم أربعة أخماس على المقاتلة على من حضر الحرب كلهم بالسواء)[3].

---

١) الأموال، ص ٧٣.

٢) الصلت بن مالك الخروصي من أئمة الحكم في عمان، بويع سنة ٢٣٧ هـ، وعزل وقيل اعتزل سنة ٢٧٣ هـ، تحفة الأعيان، ج١، ص ١٦٢.

٣) تحفة الأعيان، ج١، ص ١٧٩.

وهذا يعطينا فكرة جيدة عن قوة الدولة العُمانية آنذاك، وعن كثرة الغنائم التي غنموها من نصارى سقطرى.

وقد خاض العُمانيون أيضاً حروباً شديدة مع البرتغاليين في عهد دولة اليعاربة، في عُمان والجزيرة العربية وعلى سواحل المحيط الهندي في شبه القارة الهندية وفي شرق أفريقيا، وحصلوا على غنائم من تلك الحروب، تأثلوا منها أموالاً جزيلة ازدهرت بها حركة الحياة في عُمان ازدهاراً طيباً، حتى أن الإمام سلطان بن سيف اليعربي [1] (ت ١٠٩٢ هـ)، بنى قلعة نزوى العتيدة من غنيمة معركة الديو[2] مع البرتغاليين[3].

٤ – العشور (الجمارك):

وهي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض تجارة أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام[4]، ولقد ابتدأ تطبيق أخذ العشور من تجار أهل

---

١) سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، الإمام الثاني في دولة اليعاربة، كانت إمامته بين (١٠٥٩ – ١٠٩٢ هـ).

٢) الديو، منطقة في الهند كانت قاعدة للبرتغاليين، هاجمها العمانيون سنة ١٦٧٠ م وغنموا منها أموالاً.

٣) تحفة الأعيان، ج٢، ص٤٥، وانظر عائشة السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا، ص ٧٤.

٤) الخراج والنظم المالية، ص ١٢٧، وانظر الخراج، ليحيى، ص ١٧٣.

الحرب على عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما كتب إليه أبو موسى الأشعري (أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه عمر، خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر)، وهو من باب المعاملة بالمثل، فعندما كان يأخذ ملوك الشرك العشر من تجار المسلمين أمر الخليفة عمر بن الخطاب بأخذ العشر من تجار أهل الشرك كما يأخذ ملوكهم.

ولقد تعرضت الأسواق العُمانية إلى تدفق التجارة القادمة من البلاد الإسلامية، ومن البلاد غير الإسلامية.

ونظراً لحجم التجارة الواردة إلى عُمان من وراء البحار، فقد اتخذت بعض الإجراءات الإدارية التي تنم عن خبرة إدارية، ومن تلك الإجراءات:

١. أن الزكاة أو العشور للبضائع القادمة عبر البحار يأخذها والي صحار، باعتباره كبير ولاة المناطق الساحلية، ولم يسمح لأي والٍ آخر من ولاة المناطق الساحلية بأخذها، وقد حدث أن والياً من الولاة أخذ زكاة بعض التجار المسلمين، غير أن والي صحار ألزم ذلك التاجر بدفع الزكاة إليه والرجوع إلى الوالي الذي أخذ منه الزكاة لاسترجاع ما دفعه إليه، والغرض من هذا الإجراء هو ضبط الأمور بشكل جيد حتى لا يكون هنالك أي تسيّب.

٢. إذا قدمت سفينة تجارية، يوجه الوالي – أي والي صحار – رجلاً أميناً لحصر البضائع التي تكون على ظهر السفينة ثم يرسل قائمة الحصر إلى الوالي لكي يسجلها لديه.

٣. إذا كان التاجر غريباً، فإن الوالي يأمر أن يحضر كفيلاً عنه حتى يبيع متاعه ثم يدفع ما عليه، وبذلك يتم تخليص الكفيل.

٤. إذا لم يستطع التاجر الغريب إحضار كفيل عنه، فإن الوالي يكتب اسمه مع أخذ بعض الضمانات عليه، ثم يتركه يبيع بضاعته.

٥. إذا بقي شيء من البضاعة التي لم تبتع، فإن على التاجر إحضارها بين يدي الوالي كيلا تقع المحاسبة عليها بناءً على قائمة الحصر.

- وقد استاء بعض الناس من هذه الإجراءات معتبرين إياها شاقة وشديدة، إلا أن الوالي –وهو سليمان بن الحكم[1]– أكد بحزم على ضرورة اتباعها قائلاً: لولا ذلك لضاعت الزكاة، لأن أصحاب السفن إذا اختلط بعضهم ببعض مع كثرتهم وقلة معرفة من يعرفهم، تعذر ردهم إلى الوالي، وهذه العبارة الأخيرة نستنتج منها كثافة الحركة التجارية في الموانئ العُمانية، لا سيما ميناء صحار، سواء كانت

١) وهو أبو مروان، سليمان بن الحكم كبير الولاة في دولة الإمامة في عمان في القرن الثالث الهجري، أشهر أعماله ولايته على صحار، تحفة الأعيان، ج١، ص ١٣٨.

التجارة المتداولة في الأسواق العُمانية، أو التجارة التحويلية، يدل على ذلك كثرة السفن وصعوبة التمييز بينها.

أما التجار فهم إما أن يكونوا مسلمين أو غير مسلمين:

- فإن كان التاجر مسلماً، والبلاد القادم منها مسلمة، قلا تؤخذ منه الزكاة حتى يحول عليه الحول، وإذا حال عليه الحول أخذت منه سواء باع أم لم يبع.
- وإن كان التاجر مسلماً، والبلاد القادم منها غير مسلمة، فإن المجلس العلمي الذي عقده الإمام غسان بن عبد الله[1] بحضور كل من: هاشم بن غيلان[2]، وأبي مودود حبيب بن حفص[3]، وسعيد بن المبشر[4]، والقاسم بن شعيب[5]، أصدر الفتوى التالية: (إذا وصل إلى

---

١) أبو يوسف، مصدر سابق، ص ١٣٨.

٢) تقدم التعريف به.

٣) هاشم بن غيلان، من بلدة سيجا التابعة لولاية سمائل، حمل العلم عن بشير بن المنذر، وموسى بن أبي جابر وغيرهما، وهو من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين، له الكثير من الجوابات في العقيدة والفقه، البطاشي، إتحاف الأعيان، ج١، ص ١٧٦.

٤) سعيد بن المبشر، من إزكي، أخذ العلم عن القاضي الكبير سليمان بن عثمان، وهو أيضاً من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين، البطاشي، الإتحاف، ج١، ص ٤٢٥.

٥) هو القاسم بن شعيب، من منطقة سمد بنزوى، من علماء القرن الثالث الهجري، الإتحاف، ص ٤٣٤.

عُمان وباع متاعه فخذ الزكاة منه من حينه، وإن لم يبع المتاع حتى حال عليه الحول، يقوم متاعه كما يباع، ثم خذ منه الزكاة سنة واحدة).

- وإذا كان التاجر غير مسلم فهو على أحد أمرين: إما أن يكون ذمياً، وإما أن يكون حربياً، فإن كان من أهل الذمة (فله الذمة ما قام بحقها، وأدى الواجب الذي عليه من الجزية وغيرها، ولا يؤخذ منه بعد ذلك شيء من ماله البّري ولا البحري، إذ لا زكاة عليه، فيعامل معاملة أهل الزكاة، وليس بحربي حتى يعامل معاملة أهل الحرب)[1].

وإن كان حربياً فإنه يؤخذ منه كما يأخذ مليكهم من المسلمين إذ قدموا عليه لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦].

بيد ان هنالك قولاً بأخذ العشر من التاجر الحربي على أي حال، وهو ما قال به محمد بن محبوب[2] (ت ٢٦٠ هـ)، وعزّان بن الصقر[1] (ت ٢٦٨ هـ)، وهما

---

١) معارج الآمال، ج١٦، ص ٢٨٩.

٢) محمد بن محبوب بن الرحيل القرشي، من أشهر العلماء في زمانه، وشيخ المسلمين ومرجعهم في الرأي والفتوى، وكان مضرب المثل في العلم والزهد والتقوى، وكان على رأس العاقدين البيعة للإمام الصلت بن مالك، آخر حياته عمل قاضياً على صحار، له حضور فقهي في كتب المذهب

من علماء عُمان ونسب أبوسعيد الكدمي[2] هذا القول إلى عامة أهل[3] العلم، على أن القول القائل بالأخذ كما تأخذ حكوماتهم من تجار المسلمين هو القول المناسب، وهو من باب المعاملة بالمثل الذي هو مبدأ من مبادئ العلاقات الدولية المعمول به في القوانين المعاصرة على جميع الأصعدة، وتدل عليه الآية الكريمة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦].

ومن المناسب أن نشير إلى أن العملية الجمركية المعمول بها في جميع الدول في وقتنا الحاضر إنما هي مبنية على هذا المفهوم.

وذلك من خلال المقارنة بين نظام العشور في الإسلام، وبين نظام الجمارك في الوقت الحاضر، فقد قرر علماء القانون الدولي العام أن

الإباضي، ويقال إن له كتاباً في سبعين جزءاً، إلا أنه فقد، توفي سنة ٢٦٠ هـ، البطاشي، اتحاف الأعيان، ج١، ص ١٩١.

١) هو الشيخ الفقيه العلامة أبو معاوية عزان بن الصقر النزوي، كان يسكن منطقة غلافقه من نزوي، حمل العلم عن محمد بن محبوب، له أجوبة فقهية كثيرة، توفي سنة ٢٦٨ هـ، البطاشي، الإتحاف، ج١، ص ١٩٦.

٢) هو الشيخ الفقيه العلامة والحبر الفهامة أبو سعيد محمد بن سعيد الناعبي الكدمي، من كبار علماء عمان المحققين، عاش في القرن الرابع الهجري، من مؤلفاته كتاب الاستقامة، وكتاب المعتبر، والزيادة على كتاب الأشراف، لا يعرف تاريخ مولده ولا وفاته ولا يبعد أن يكون مولده سنة ٣٠٥ هـ، البطاشي، الإتحاف، ج١، ص ٢١٦.

٣) الكندي، محمد بن إبراهيم، بيان الشرع، ج١٩، ص ٣١٣، انظر الأموال لأبي عبيد، ص ٦٤٧.

للدولة أن تراقب الواردات إلى بلادها، وأن تنظمها، وتضع لها القيود الكافلة لحماية الايرادات، كما قرروا أنه يجوز للدولة أن تحصل رسوماً على حمولة السفن القادمة من الموانئ الأجنبية، ويجوز إضافة رسوم على البضائع الواردة في سفن أجنبية، وقرر علماء القانون أيضاً، أن المعاملة للحربيين تكون على سبيل المماثلة والتكافؤ، وأن المسلمين لا يأخذون من الحربيين شيئاً إذا كانوا لا يأخذون من المسلمين شيئاً، وقرروا أيضاً أنه لاشيء يمنع الدولة في معاهداتها التجارية من تقرير تخفيض الرسوم من بلاد الدولة المتعاقدة، أو من اختصاصها بمعاملة تفضيلية[1].

كل هذا يجعل الشبه كبيراً بين النظاميين، أو بين المعاملتين.

٦ – التبرعات:

ومن روافد بيت المال في عُمان ما يتبرع به أهل الخير والصلاح من تخصيص مبالغ أو عقارات لعز الدولة، وقد حدث في التاريخ العُماني مثل هذا النوع من التبرعات التي كانت يراد منها التقرب إلى الله تعالى، وإعزاز دولة الإسلام وتقويتها.

١) النواوي، عبد الخالق، النظام المالي في الإسلام، ص ١١٢، المكتبة العصرية، بيروت.

ومن ذلك أن رجلاً بالهند في زمن الإمام عبد الملك بن حميد[1] (ت ٢٢٦ هـ)، أوصى بمال لعز الدولة في عُمان، غير أننا لا ندري هل هذا الرجل من أصل عُماني أم أنه هندي الأصل؟ ولعله كان من أصل عُماني وقد أقام في الهند للعمل بالتجارة هنالك وهو ما أرجحه: نظراً لتقارب البلدين من بعضهما البعض، حيث لا يفصل بينهما سوى بحر العرب، ولكون أن المال الموصى به في الهند وليس في عُمان، لذلك كلّف الإمام عبد الملك من يحضر ذلك المال بالأجرة مناصفة أي على النصف من ذلك المال، فاختلف الفقهاء حيال ذلك، فمنهم من رأى أن للمستأجر عناءه، ومنهم من جوّز أخذ النصف، فعقد الإمام مجلساً فقهياً حضره العديد من الفقهاء العُمانيين، واتفقوا أنه لا مانع من أن يأخذ الأجير النصف[2].

ونستنتج من ذلك أن هناك علاقة تجارية قديمة بين عُمان والهند.

---

١) عبد الملك بن حميد من بني علي بن سودة بن الحدان، بويع بالإمامة سنة ٢٠٧ هـ، سار سيرة الحق والعدل، واتبع أثر السلف الصالح، وصارت عمان في عهده خير دار، توفي سنة ٢٢٦ هـ، السالمي، التحفة، ج١، ص ١٥٠.

٢) أطفيش، محمد بن يوسف، شرح النيل، ج٥، ص ١٥٠.

المطلب الثالث: أصول بيت المال:

للدولة العُمانية عبر تاريخها العديد من المنشآت العقارية والزراعية، ومن المعلوم أن ما تحدثه الدولة من منشآت يكون تلقائياً ملكاً لبيت المال، على أن أكثر الدول في عُمان إحداثاً لتلك المنشآت هي الدولة اليعربية (١٠٣٤ – ١١٥٦ هـ / ١٦٢٤ – ١٧٤٤ م) لا سيما في عهد الإمام سيف بن سلطان[1] الملقب (قيد الأرض)، وتتمثل تلك المنشآت في مل يلي:

١ – الأفلاج: والفلج هو نبع مائي يجري عبر قناة مشقوقة في باطن الأرض لامتصاص المخزون وتجميعه وإخراجه إلى سطح الأرض[2]، وتستخرج الأفلاج من باطن الأرض بطريقة فنية هندسية، ربما أنها لا توجد إلا في عُمان.

---

١) هو الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، بويع بالإمامة سنة ١١٠٤ هـ بعد أخيه الإمام بلعرب بن سلطان، ولقب بقيد الأرض لضبطه الممالك، وتقييده البلاد بعدله، وقد شن حرباً ضروساً ضد البرتغاليين، حيث تعقبهم في شبه القارة الهندية، وفي شرق أفريقيا حتى تمكن من إخراجهم نهائياً من شرق أفريقيا، توفي سنة ١١٢٣ هـ، ودفن في مدينة الرستاق، السالمي، التحفة، ج٢، ص ٩٧.

٢) العبري، بدر الدين سالم، اليبان في بعض أفلاج عمان، ص ١٢.

وقد أحدثت الدولة العُمانية عبر مراحلها التاريخية العديد من هذه الأفلاج التي تسقي المزروعات، ويعتمد عليها الأهالي في حياتهم اليومية، ويغذي ماؤها العدد الكبير من النخيل والأشجار وسائر المزروعات.

يقال إن سيف بن سلطان وحده أنشأ سبعة عشر فلجاً في عُمان منها، البزيلي، والصائغي، والكوثر، والبرزمان، وأفلاج المسفاة، والحزم، والهوب، وأفلاج جعلان[1].

٢ – الآبار: نظراً لضرورة الحصول على الماء بأية وسيلة كانت، فإن الدولة العُمانية كانت تقوم بحفر الآبار الارتوازية، وهذه الآبار أحياناً تكون لسقي الزراعة، وأحياناً لاستعمال الناس من شرب وغيره.

من أشهر الآبار الزراعية التي استحدثها الإمام سيف بن سلطان، بئر النساوة، وبئر الراصة، وبئر المنذرية، وتوجد حالياً ست وستون بئراً عامرة، وإحدى وخمسون بئراً داثرة تابعة لبيت المال مسجلة لدى وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالسلطنة، وهي الجهة التي تدير اصول بيت المال وتشرف عليها.

٣ – البلدان والقرى: وقد تم إنشاء العديد من البلدان والقرى التي أصبحت فيما بعد مستقراً للعديد من القبائل والمواطنين، ومن تلك البلدان بركة الموز، وحمراء العبريين اللتين تم إنشاؤهما في عهد الإمام سلطان بن

---

١) تحفة الأعيان، ج٢، ص ١٥.

سيف[1]، وقد منح الإمام سلطان بلدة الحمراء إلى قبيلة العبريين نظراً لقيامهم بتعمير البلدتين المذكورتين وإجراء فلجيهما، بينما احتفظ ببلدة بركة الموز لبيت المال[2].

كما قام ولده الإمام سيف بن سلطان بغرس عدد كبير من النخيل والنارجيل وصنوف الشجار والفواكه في منطقة النعُمان بولاية بركاء[3].

وفي مدينة بهلا تم غرس سبعة آلاف نخلة لبيت المال، منها خمسمائة من نوع الخلاص، وذلك على يد الوالي الولي أبي زيد الريامي[4] (ت ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤ م)، كما قام الإمام سيف بن سلطان بشراء بعض القرى والبلدان

---

١) هو الإمام سلطان بن مالك اليعربي، بويع بالإمامة سنة ١٠٥٩ هـ، وهو الذي أخرج البرتغاليين من عمان والجزيرة العربية واخذ في مهاجمتهم وملاحقتهم على سواحل الهند وأفريقيا الشرقية، توفي سنة ١٠٩١ هـ، السالمي، التحفة، ج٢، ص.

٢) نهضة الأعيان، ص ٣٧٧.

٣) الشعاع الشائع، ص ٢٧٢.

٤) هو الشيخ العلامة الولي عبد الله بن رزيق الريامي، ولد سنة ١٣٠١ هـ في مدينة إزكي، حمل العلم عن الإمام الكبير نور الدين السالمي، له العديد من المؤلفات، عمل والياً وقاضياً على ولاية بهلا في عهد الإمامين سالم بن راشد الخروصي، ومحمد بن عبد الله الخليلي، توفي سنة ١٣٦٤ هـ، نهضة الأعيان، ص ٤٢٠.

بوادي السحتن بولاية الرستاق[1] وجعلها لبيت المال، لذلك يقال أن وادي السحتن أكثره بيت مال[2].

٤ – **القلاع والحصون:** وهي منتشرة في عُمان بصورة واسعة، وقد استحدثتها الدول العُمانية المتعاقبة دولة بعد دولة، وذلك لأنها توفر ملاذاً آمناً لما تشتمل عليه من استحكامات أمنية، وتحصينات دفاعية، وأشكال حربية لكي يتعسر على المهاجم الوصول إلى من فيها، وقد جاء في نشرة وزارة التراث القومي والثقافة – وهي الجهة التي تقوم بالإشراف والصيانة والإدارة للقلاع والحصون بالسلطنة– أن هذه المباني التاريخية الضخمة بجانب توفيرها للحماية لعبت دوراً حيوياً في التعريف بتاريخ عُمان، كونها تقف كنقاط التقاء، للتفاعل السياسي والاجتماعي والديني، وكمراكز للعلم والإدارة والأنشطة الاجتماعية، وغالباً ما تكون متكاملة مع أسواق تضج بالحركة والحيوية، ومساجد وأحياء حرفية وسكنية جذابة، والتي توفر لزائر اليوم فرصة فريدة لتجربة ومعايشة التاريخ[3]، ويبلغ عدد القلاع والحصون

---

١) الشعاع الشائع، ص ٣٢٧.

٢) نهضة الأعيان، ص ٣٧٨.

٣) وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، نشرة بعنوان (استرجاع التاريخ) أعدت للتعريف بعدد من القلاع والحصون.

خمسائمة وخمسة وتسعين (٥٩٥) قلعة وحصناً عدا الأبراج والأسوار والبيوت الأثرية[١].

ومن أهمها، قلعة نزوى، وحصن جبرين، وقلعة الرستاق، وحصن الحزم، وقلعة نخل، وبيت النعُمان، وقلعة الجلالي، وقلعة الميراني بمسقط، وقلعة بيت الفلج، وحصن بهلا، وحصن عبري، وغيرها من القلاع والحصون المنتشرة على الأرض العُمانية[٢].

وتتكون الحصون والقلاع في العادة من مقرات للسكنى كغرف للنوم ومجالس لاستقبال الضيوف، ومخازن للمؤن والذخيرة، وأماكن للدفاع، وجميعها تتوفر بداخلها آبار مائية للاستعمال الحياتي، كما أن بعضها تمر بداخلها أفلاج.

٥ – **الأسواق:** وهي من ضروريات الوجود البشري، حيث أن الحياة لا تقوم إلا على الأخذ والعطاء، والتبادل الذي يعرف بالبيع والشراء، وهي حالة مرافقة لمسيرة البشرية منذ أن وجدت على هذا الكوكب الكوني –الأرض– وعُمان كغيرها من المناطق شهدت وجود العديد من الأسواق، بل أن فيها كانت تعقد بعض أسواق العرب في الجاهلية، مثل سوق صحار، وسوق دبا،

---

١) وزارة التراث والثقافة، نشرة.

٢) عمان في التاريخ، مجموعة من الباحثين، ص ٢٦٢ / ٢٧٣.

وسوق أدم[1]، وقد توسعت الأسواق في عُمان بمرور الوقت وسير الزمن، فقد صار في كل ولاية رئيسية سوق، وبعض هذه السواق له أهمية تجارية كبيرة، ولا يزال بعضها غاية في الأهمية التجارية حتى الآن على أن معظم الأسواق في عُمان تابعة لبيت المال، حيث تؤجر إلى المواطنين، ويرجع ريعها إلى خزينة الدولة (وزارة المالية) ويتبع حالياً لبيت المال تسعة وثلاثون (٣٩) سوقاً موزعة على ولايات السلطنة، حسب إحصائية دائرة بيت المال بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية التي كانت تشرف على جميع هذه الأسواق وتديرها[2]*.

١) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٢٠.

* أما في الوقت الحالي فقد انتقلت إدارتها والإشراف عليها إلى وزارة البلديات الإقليمية والبيئة وموارد المياه، ماعدا سوق بهلا الذي لا يزال تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وكذلك عدد من المحلات التجارية بسوق مطرح. حيث تقوم الجهتان بتأجير هذه الأسواق والمحلات التجارية إلى المواطنين واستلام ريعها وإدخاله إلى خزينة الدولة (وزارة المالية).

المبحث الثاني

الطرق التي تكونت منها أصول بيت المال في عُمان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الطريقة الأولى: أموال الفرس

المطلب الثاني: الطريقة الثانية: التغريق (التأميم)

المطلب الثالث: الطريقة الثالثة: الأصول مجهولة الأرباب.

المطلب الأول: الطريقة الأولى: أموال الفرس

شهدت عُمان في بعض المراحل التاريخية وجوداً فارسياً، فالوجود الأول كان في عهد الإمبراطور (قورش)، حتى تمكن القائد العربي مالك بن فهم الازدي من إخراجهم من عُمان، عندما جاء إلى عُمان مع عدد من قومه نتيجة انهدام سد مأرب باليمن[1].

أما الوجود الثاني، فعندما آل أمر عُمان إلى آل الجلندى، كانت هنالك مهادنة بينهم وبين ملوك الفرس الساسانيين، الأمر الذي استوجب وجود حامية فارسية قوامها أربعة آلاف شخص، وقد جعل ملوك الفرس من عُمان منفى ينفون إليها من يناوئهم أو يكون خصمهم من رعيتهم[2]، وقد اتخذوا من صحار قاعدة لوجودهم، وابتنوا لهم فيها قرية سموها (دستجرد)[3].

وعندما من الله على البشرية ببعثه نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- وأخذ الدين الإسلامي ينتشر في ربوع جزيرة العرب أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندى ملكي عُمان وإلى أهل

---

١) تحفة الأعيان - ج٢، ص ٣٠.

٢) العوتبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٨.

٣) نفس المصدر، ص ٢٦٢.

عُمان، ومعه خطاب النبي الكريم إلى الملكين المذكورين الذي جاء فيه (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تطأ ساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما). فاستجاب أهل عُمان حكومةً وشعباً إلى دعوة الرسول –صلى الله عليه وسلم– فدخلوا في الإسلام قاطبة، وبعد ذلك طلبوا من الحامية الفارسية الدخول في الإسلام أو الخروج من عُمان، غير أن الفرس أبوا من قبول الإسلام، الأمر الذي حمل العُمانيين إلى قتالهم وإخراجهم من عُمان بالقوة، وبعد قتال دار بينهم طلب الفرس وقف القتال مذعنين بالاستسلام تاركين أموالهم العقارية والزراعية (فلما طال بينهم القتال دعوا أهل عُمان إلى الصلح، فاستنزلوهم على أن يعطوا أهل عُمان كل صفراء وبيضاء، وحلقة وكراع، وأن يحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس، فأجابوهم إلى ذلك، وأخرجوا الفرس من عُمان إلى فارس)[1].

١) ابن بركة، عبد الله بن محمد، الجامع، ج٢، ص ٤٠٥.

وصارت الأموال العقارية والزراعية التي تركها الفرس ملكاً لبيت مال الدولة في عُمان[1]، وبالتالي أصبحت صوافي عُمانية.

وفي رأيي أنها أول صواف كانت بعُمان، وذلك في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، حيث حدث ذلك في العهد النبوي -على صاحبه أفضل الصلاة والسلام- لأن إخراج الفرس تم عقب دخول أهل عُمان في الإسلام مباشرة، إذ لم يسمح لهم العُمانيون بالبقاء على ديانتهم المجوسية، وأرادوا منهم الدخول في الإسلام الذي دخل فيه العُمانيون قائلين لهم: (أنه قد بعث منا في العرب نبي، فاختاروا منا إحدى الخصلتين، إما أن تخرجوا عنا وإما أن نقاتلكم)[2].

١) العوتبي: المصدر السابق، ن، ص.

٢) نفس المصدر السابق، ن، ص.

المطلب الثاني: الطريقة الثانية: التغريق:

التغريق مصطلح فقهي عُماني، معناه المصادرة أو التأميم، إذ هو بلغة العصر استرداد ملكية للمصلحة العامة، وذلك عندما تتجمع ثروات لدى المسئولين من الملوك والأمراء والولاة الظلمة من أموال العباد، نتيجة ظلم مارسه أولئك، تجاه الرعية، أو أنهم أخذوا تلك الأموال من غير حلها، وبغير وجه حق، فإن الحكم الشرعي يقتضي نزع تلك الأموال من أيديهم، وإرجاعها إلى ذويها إن كانوا موجودين، وإذا لم يكونوا موجودين فإنها تكون أمانة لدى الدولة حتى يظهر أربابها، أو يحكم بها بيت المال.

والأصل في ذلك فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقد كان يشاطر العمال ما في أيديهم، حينما يرى عليهم سعة من المال، ولم يعلم مصدرها، فإنه كان يصادر عليهم تلك الأموال أو جزءاً منها ويرد ذلك إلى بيت المال.

ومن ذلك أنه ولى عتبة بن أبي سفيان على كنانة، فقدم عليه بمال، فقال عمر: ما هذا يا عتبة، قال: مال، خرجت به معي وأتجرت فيه، قال: ومالك تخرج معك هذا المال في هذا الوجه فصيّره في بيت المال[1].

ومن ذلك أيضاً ما فعله عمر مع ولديه عبد الله وعبيد الله حينما قفلا عائدين من العراق، فمرا على أبي موسى الأشعري وكان والياً على البصرة،

---

١) الخضري، محمد بك، محاضرات، تاريخ الأمم الإسلامية، ج٢، ص١٣.

فأسلفهما لكي يتجرا به لينتفعا بذلك، على أن يكون لهما الربح ويردا رأس المال إلى أمير المؤمنين، غير أن أمير المؤمنين لم يرض بذلك، وأمر ولديه عبد الله وعبيد الله برد الجميع، رأس المال وربحه إلى بيت المال، لولا تدخل بعض الجالسين مقترحاً جعل المعاملة من باب المضاربة، على أن يكون لابني أمير المؤمنين نصف الربح والنصف الآخر مضافاً إلى رأس المال يرد إلى بيت المال[1].

وهكذا صادر عمر نصف ما ربحه ولداه عبد الله وعبيد الله، وجعله في بيت المال، وهذا الفعل – ولا شك – تطبيقاً دقيقاً وفاعلاً للمبدأ العمري القائل (من أين لك هذا).

وكذلك كان الأمر عند الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد أمم جميع المظالم التي اقترفها بنو أمية وعمّالهم، حيث أعاد إلى بيت مال المسلمين جميع القطائع والأموال التي كان خلفاء بني أمية قد أخذوها لأنفسهم، أو منحوها للناس، وقد وقف عمر هذا الموقف بكل شجاعة وقوة وإيمان[2].

وقد حفظ لنا التاريخ العُماني صوراً تطبيقية لهذا المبدأ العادل النزيه، حيث شهد تاريخ التشريع الإسلامي في عُمان وقوع مثل هذه الأحكام، وهي كالتالي:

---

١) نفس المصدر، ص ١٦.

٢) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٤، ص ٢١٢.

أولاً: قام الإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي[1]، بمصادرة أموال الملوك النباهنة بعد الإطاحة بالسلطان سليمان بن سليمان النبهاني[2]. على اعتبار أنها مظالم، وصورة المحاكمة كما يلي:

- تشكيل المحكمة:

فقد قام رئيس المحكمة وشيخ مشيخة القضاء، محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج[3] كلاً من:

١ – محمد بن عمرو بن أحمد[4] وكيلاً عن المظلومين.

---

١) الإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي، من نسل الإمام الخليل بن شاذان الذي هو من ذرية الإمام الصلت بن مالك الخروصي، بويع بالإمامة سنة ٨٨٥ هـ، وهو أول إمام حكم بتغريق أو مصادرة أموال الظلمة، السالمي، التحفة، ج١، ص٣٧١.

٢) هو السلطان سليمان بن سليمان بن المظفر النبهاني، من اشهر الملوك النباهنة وأعظمهم شأناً، كان حكمه لعمان على فترتين، صار في صراع مع الأئمة، له ديوان شعر ينبئ عن فصاحته وبلاغته، وهو معدود من الشعراء الكبار، السالمي، التحفة، ج١، ص ٣٧٦.

٣) هو الشيخ العلامة والقاضي المجاهد محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج البهلوي، من علماء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وكان من المجتهدين في عودة الإمامة، ومن أبرز العلماء الذين بايعوا عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي، ثم بويع هو نفسه بالإمامة سنة ٨٩٤ هـ، البطاشي، اتحاف الأعيان، ج٢، ص ١٣.

٤) هو الشيخ العالم محمد بن عمر بن أحمد مفرج البلهوي، أيضاً من علماء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، البطاشي، نفس المصدر، ص ٦.

٢ – أحمد بن عمرو بن أحمد [١] وكيلاً للملوك النباهنة.

٣ - أحمد بن صالح بن عمرو[٢] قاضياً للحكم بين الطرفين.

٤ - محمد بن علي بن عبد الباقي[٣] كاتباً للحكم.

منطوق الحكم:

(جميع مال آل نبهان من أموال وأرضيين ونخيل وبيوت وأسلحة وأبنة وغلل وتمر وسكر، وجميع ما لهم كائناً ما كان من ماء وبيوت ودور وأطوى وأثاث وأمتعة قضاء واجباً تاماً [٤]).

---

١) هو الشيخ الفقيه أحمد بن عمر بن أحمد مفرج البهلوي، أيضاً من علماء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، البطاشي، نفس المصدر، ص ٦.

٢) هو الشيخ القاضي الفقيه أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد مفرج البهلوي ابن عم المذكورين أعلاه، حيث ينتمي الجميع إلى أسرة آل مفرج العلمية، البطاشي، نفس المصدر، ص ٦.

٣) هو الشيخ الفقيه محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الباقي العقري النزوي، عاصر الأئمة عمر بن الخطاب الخروصي، ومحمد بن سليمان بن مفرج، ومحمد بن إسماعيل الحاضري، حمل العلم عن عدد من المشايخ، ومن مؤلفاته، كتاب المراقي، وكتاب في أصول الفقه، وله أجوبة فقهية كثيرة وأراجيز فقهية، البطاشي، الإتحاف، ج٢، ص ١٣٩.

٤) الشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين، ج٥، ص ٣٤٩.

نتيجة الحكم:

(قبل محمد بن عمر - وكيل المظلومين - هذا القضاء للمظلومين من أهل عُمان من غاب منهم أو حضر، وصغر منهم وكبر، الذكور منهم والإناث، فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين)[1].

(والمظلومين قد جهلت أسماؤهم، ومعرفتهم، فصار كل مال مجهول ربه جائز للإمام قبضه، ويصرفه في إعزاز دولة المسلمين والقيام بها، وكل من صح حقه، وأثبته فهو له من أموالهم، ويحاسب بالتجزئة، مما يصح له بقسطه، إن أدرك ذلك، وإن لم يدرك التجزئة، ولم يحظ بها، فذلك النصيب، نصيب غير معلوم، وهو مجهول للفقراء وللإمام أن يقبض الأموال المغيبة، وأموال الفقراء ومن لا رب له، ويجعله في عز دولة المسلمين)[2].

وقد صادق العديد من العلماء العُمانيين من ذوي الاجتهاد والرأي والفتوى على هذا الحكم، مما اعتبر اتفاقاً على ذلك.

---

١) نفس المصدر، ص ٣٥٠.

٢) نفس المصدر، ص ٣٥٠.

وقد اعتبر الشيخ السالمي[1]، ما فعله الإمام عمر بن الخطاب الخروصي شبيهاً بفعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، في مصادرته أموال ولاته، حيث قال في جوهره: ٥

وفي بني اليحمد من أسد الشرى إمام صدق كان يدعى عمرا
كذا أبوه يدعى بالخطاب مسامياً لعمر الصحابي
من نسل شاذان وذاك العلم دوّخ أهل الظلم حين ظلموا
وقد قضى على بني نبهانا جبابرا كانوا على عُمانا
قضى بأن مالهم لمن ظلم من العُمانيين لكن ما علم
فجعلوا ذلك بيت مال لجهلهم بمالك الأموال
وكان ذا يعرف بالتغريق ما أشبه الفاروق بالفاروق[2]

---

١) هو الإمام نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي الضبي، ولد سنة ١٢٨٦ هـ انتهت إليه رئاسة العلم بعمان، وظهر ذلك في تآليفه الجمة في مختلف الفنون الشرعية والعربية مع التحقيق في مسائلها والإجادة في تأليف كتبها ورسائلها، ومن مؤلفاته، جوهر النظام، وطلعة الشمس ومشارق الأنوار، وشرح المسند، توفي سنة ١٣٣٢ هـ، عز الدين التنوخي، شرح المسند، مقدمة أبو إسحاق أطفيش، جوهر النظام، مقدمة.

٢) السالمي، جوهر النظام، ص ٣٥٢.

ثانياً: قام الإمام محمد بن إسماعيل الحاضري[1] بأمرين:

الأمر الأول: تأكيد الحكم الذي تم في عهد الإمام عمر بن الخطاب الخروصي، بتغريق أموال الملوك آل نبهان، واستمرار تطبيقه، وقد كان بناء على حكم شيخ القضاة ومرجع الفتوى في عصره أحمد بن صالح بن عمر[2]، حيث جاء في حيثيات حكمه اعتماداً على الحكم المذكور، (والإمام أولى بكل شيء مرجعه إلى الفقراء من صدقات ووصايا وغيرها، فهو أولى بذلك، ويجعله في عز دولة المسلمين، أو بهذه الحجة أجازوها وأحلوها للإمام عمر بن الخطاب، فجعلت تنتقل من إمام إلى إمام إلى يومنا هذا، ولم يعب أحد ذلك، وكان في ذلك الأوان جمة من العلماء الأتقياء البلغاء)[3].

وبعد ذلك أصدر حكمه تأكيداً للحكم المذكور. (وقد أجزت للإمام المقدم ذكره محمد بن إسماعيل -أعزه الله- حوز هذه الأموال المقدم ذكرها، اقتضاء لما تقدم من الأحكام من العلماء الأبرار

---

١) هو الإمام محمد بن إسماعيل الحاضري القضاعي من أئمة الحكم بعمان، بويع بالإمامة سنة ٩٠٦ هـ، وتوفي سنة ٩٤٢ هـ، السالمي، التحفة، ج١، ص ٣٧٩.

٢) هو الشيخ العلامة الفقيه أحمد بن صالح بن عمر البهلوي من اسرة آل مفرج العلمية، كان مرجع القضاء والفتوى في دولة الإمام محمد بن إسماعيل الحاضري، البطاشي، الاتحاف، ج٢، ص ١٦.

٣) السالمي، التحفة، ج١، ص ١٦.

الأتقياء الأخيار، ولا حجة لمحتج على الإمام في حوزه لها ومنعه إياها، إذ هو مقتف أثر غيره من الأئمة الماضين، وحكم العلماء المتقدمين، ولا عليه مطعن لطاعن ولا حجة لمحتج)[1].

وقد صادق على هذا الحكم جملة من العلماء أهل عُمان المعاصرين له، على غرار الحكم الواقع في دولة الإمام عمر بن الخطاب.

الأمر الثاني: الحكم بتغريق (تأميم) أموال بعض القبائل العُمانية، وهي قبيلة بني رواحة[2] التي كانت متعاونة مع ملوك بني نبهان، فقد اعتبرهم الحكم ضامنين لما اقترفه أولئكم الملوك، لأن تمكنهم لذلك الاقتراف كان نتيجة معاونة ودعم من القبيلة المذكورة، لذلك كان الحكم بمصادرة أموالهم.

---

١) تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٧٤.

٢) قبيلة بني رواحة من عبس، وهي من القبائل العمانية الكبيرة، تقطن العديد من البلدان والقرى، في عُمان.

وكان صدور الحكم في الثالث من شعبان سنة ٩٠٦ هـ[1]، والظاهر أن الذي أصدر الحكم وحرره هو الشيخ محمد بن علي بن عبد الباقي[2]، وصادق عليه جملة من علماء أهل عُمان.

ثالثاً: هناك بعض الأحكام من هذا القبيل حدثت في فترات متقطعة من التاريخ العُماني عبر مسيرة الاجتهاد الفقهي في عُمان، حيث صدرت تلك الأحكام على عهود الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي[3]، والإمام عزان بن قيس البوسعيدي[4]، والإمام سالم بن راشد

---

١) تحفة الأعيان، ج١، ص ٣٧٩.

٢) تقدم التعريف به.

٣) هو الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي، بويع بالإمامة سنة ١١٤٠ هـ واعتزل الحكم سنة ١١٤٦ هـ، ثم بويع للمرة الثانية سنة ١١٥٧ هـ، إلا أنه عزل سنة ١١٦١ هـ، وتوفي قتيلاً سنة ١١٦٧ هـ أثناء خروجه على الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي في منطقة فرق بنزوى، البطاشي، الطالع السعيد، ص ٢١.

٤) هو الإمام الرضي عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، بويع بالإمامة سنة ١٢٨٥ هـ، وتوفي شهيداً سنة ١٢٨٧ هـ، السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص.

الخروصي[1]، التي قضت بمصادرة بعض الأملاك العقارية والزراعية وضمها إلى بيت المال، على اعتبار استغراقها في الجبايات والمظالم المجهولة الأرباب لذلك صار مرجعها لبيت المال[2].

١) هو الإمام الرضي سالم بن راشد بن سليمان الخروصي، من نسل الإمام عزان بن تميم، بويع بالإمامة سنة ١٣٣١ هـ، توفي شهيداً سنة ١٣٣٨ هـ، السالمي، محمد بن عبد الله، نهضة الأعيان، ص ١٥٠.

٢) تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٥٧.

المطلب الثالث: الطريقة الثالثة: الأصول مجهولة الأرباب:

من الطرق التي تؤول بها الأموال إلى بيت المال عدم وجود مالك لها ولا يعرف أربابها، حينئذٍ تعتبر مجهولة الأرباب، والأموال إذا كانت مجهولة الأرباب فإن لها أربعة منافذ تنفذ فيها، وتلك المنافذ هي:

إما أن تكون لبيت المال، أو أن تكون حشرية لا ينتفع بها، أو أن تبقى أمانة في بيت المال، أو تكون للفقراء.

على كونها لبيت المال، لابد في ذلك من حكم حاكم يحكم بها أنها لبيت المال، فعندئذٍ يكون حكمها حكم بيت المال في جميع أحوالها[1].

كما أنه أيضاً إذا حكم الإمام فيها بقول من الأقوال المتقدمة، وجب قبول حكمه، لوجوب طاعته، وصار ذلك القول بمنزلة المجمع عليه، فخرج عن موضع النزاع إلى موضع الإجماع، لإجماعهم على وجوب طاعة الإمام[2].

على أن مثل هذا الحكم هو الذي جاء في حيثيات الحكم الذي صدر في عهد الإمام عمر بن الخطاب الخروصي، لمصادرة أموال الملوك النباهنة، فقد جاء في تلك الحيثية الحكمية (فصار كل مال مجهول ربه جاز للإمام قبضه،

---

١) السالمي، جوابات، ج٤، ص ٢٣٨.

٢) تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٥٨.

ويصرفه في إعزاز دولة المسلمين وللإمام أن يقبض الأموال المغيبة، وأموال الفقراء، ومن لا رب له ويجعله في عز دولة المسلمين)[1].

ويرجح الإمام السالمي[2] كون الأموال مجهولة الأرباب مرجعها إلى الفقراء أو إلى بيت المال، فقد جاء في جواب له بعد أن ذكر الأقوال المتقدمة (والقول الأول عندي أصح، وعليه فللفقراء تملكها والانتفاع بها ما لم يجر فيها حكم حاكم أنها لبيت المال مثلاً، فيكون حكمها حكم بيت المال في جميع أحوالها)[3].

أما الأموال التي جعلت أمانة في بيت المال بادئ الأمر فهي أموال بلدة (بدبد) وهي منطقة قريبة من العاصمة مسقط، وذلك أن أهلها انقرضوا عنها نتيجة فيضانات مدمرة حدثت في عهد الإمـام الصلت بن مالك (٢٣٧- ٢٧٣ هـ) واجتاحت عدداً من المناطق، وكان ذلك بالتحديد في ليلة الأحد الثالث من جمادى الأولى سنة ٢٥١ هـ (نزل أمر فظيع عجيب ببدبد، وقيقا، والباطنة، وسمائل، ودما، وصحار.. فقلعت السيول المنازل والأموال، وغرقت النساء والرجال، فغرق الرجل وعياله وتخرب منزله وماله، فأصبحوا

---

١) السالمي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٢.

٢) تقدم التعريف به.

٣) الجوابات، ج٤، ص ٢٤٨.

في ليلة واحدة، أصواتهم خامدة ومنازلهم هامدة، فهدمت السيول مساكنهم، وأخرجتهم من أوطانهم، وحملت إلى البحور أبدانهم، وقلعت الأشجار، وأغارت الأنهار)[1].

وقد استطاع بعض الأهالي في المناطق المذكورة من الهرب للنجاة بأنفسهم من تلك الفيضانات، وعندما رجعوا إلى تلك المناطق عرفوا أموالهم وأموال غيرهم.

أما بلدة بدبد فقد حملت السيول أهلها ولم يبق منهم أحد كما يقال، ولم يعرف لهم وارث، لذلك كانت أمانة في بيت المسلمين، ثم حكم بها بعد ذلك لبيت المال، وقد تركت بدبد قبيضة في أيدي المسلمين حتى يرجع إليها أهلها، ثم صيرت لبيت المال)[2]، ذلك أن من لا وارث له، ولا وصية، فإن تركته تؤول إلى الجماعة ممثلة في الدولة لأن الدولة هي المسئولة عمن لا عائل له، والعاجز عن الكسب، والشيخ الضعيف، وقد قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- (من ترك مالاً أو حقاً فلورثته، ومن ترك كلاً أو عيالاً فإلي)[3].

---

١) نحفة الأعيان، ج١، ص ١٦٤.

٢) تحفة الأعيان، ج١، ص ١٠٥.

٣) المصري، عبد السميع، مقومات الاقتصاد الإسلامي، ص ٥٩.

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد فرض لكل مولود في الإسلام مرتباً في بيت المال، كما فرض لفقراء أهل الذمة -غير المسلمين- العاجزين عن الكسب الذين هم تحت حماية الدولة الإسلامية رواتب من بيت المال[1]، والقصة مع اليهودي الذي كان يتسول في طرق المدينة مشهورة.

لذلك اعتبر بيت المال لعموم المصالح الإسلامية[2].

١) نفس المصدر.

٢) السالمي، الجوابات، ج١، ص ٥٥٦.

المبحث الثالث

الصوافي: أحكامها وأقسامها

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعريفها وحقيقتها

المطلب الثاني: أحكامها

المطلب الثالث: أقسامها

المطلب الأول: تعريفها وحقيقتها

الصوافي جمع صافية، وهي الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، وقال الأزهري: يقال للضياع التي يستخلصها السلطان الصوافي، والصوافي ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير[1].

وقيل إنها كانت أراضي عديدة بقيت بدون مالك، إذ جلا عنها أهلها، أو كانت تابعة للملوك السابقين أو الدولة، فقد قرر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ضمها إلى بيت مال المسلمين، وعرفت بالصوافي لأنه استصفاها، أي جعلها خالصة لبيت المال[2]. وسميت أيضاً القطائع لأنها اقتطعت فيما يعد لمن يتعهدونها[3]، والقطائع من أرض العراق، كل ما كان لكسرى ومرازبته وأهل بيته مما لم يكن في يد أحد، وكان يقال لها صوافي الأثمار، وقد روى أبو يوسف عمن حدثه أن عمر كان أصفى كل أرض كانت لكسرى، أو لأهله، أو لرجل قتل في الحرب، أو لحق بأرض الحرب، أو مغيض ماء أو دير بريد[4].

---

١) جوهر النظام، ص ٣٩٤، أبو إسحاق أطفيش، تعليق.

٢) الخراج والنظم المالية، ص ١٤٥.

٣) نفس المصدر، ن، ص.

٤) الخراج، ص ٦٠، الخراج، ليحيى، ص ٦٤.

على أن الأصل في الصوافي هو ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير التي جعلها الله خالصةً لرسوله، لقوله عز من قائل: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر:٦].

وتعتبر الصوافي في عُمان من أهم أصول بيت المال، وتشكل القسم الأكبر من هذه الأصول، وقد ذكرنا سابقاً أن أولى الصوافي كانت أموالاً للفرس الذين كاناو موجودين في عُمان قبل ظهور الإسلام، وعندما اسلم أهل عُمان ملوكاً وشعباً طلبوا من الفرس الدخول في الإسلام أو الخروج من عُمان، فأبوا من إعطاء أحد الخيارين الأمر الذي دفع العُمانيين إلى قتالهم حتى خرجوا من عُمان تاركين أموالهم العقارية والزراعية، وصارت صافية لبيت المال، فهذه أولى الطرق التي تكونت منها الصوافي (أصول بيت المال) في عُمان.

الفرق بين الصافية وأرض الخراج:

هنالك فرق بين الصوافي وأراضي الخراج، وإن كان بينهما تشابه في بعض الأحكام، فالصوافي هي التي لا يعرف لها مالك ولا يعرف لها وارث، فتصطفيها الدولة الإسلامية، أي تجعلها صافية خالصة لبيت المال، كما هو الشأن في أموال كسرى ومرازبته وأهل بيته التي كانت بالعراق، وكما هو

الشأن أيضاً في الأموال التى تركها الفرس في عُمان عند ظهور الإسلام، وقبل ذلك كله هو ما أفاء الله رسوله من أموال بني النضير، وهو الأصل في هذا الباب.

ويفهم من ذلك أن كل مال تحصل عليه الدولة من غير إيجاف بالخيل والركاب، ولم يؤخذ بقوة السلاح، فهو صافية تستخلصها الدولة لبيت المال.

أما الخراج فهو المال الذي يجبى ويؤتى به لأوقات محدودة[1]، وهو ما يوضع من الضرائب على الأرض أو على محصولاتها، وهو أقدم أنواع الضرائب، والأصل في وضعه أن الملوك في العهود الماضية اعتبروا الأرض ملكاً لهم، وكانوا يمنحون بعضها للزرّاع، على أن يدفع الزرّاع لهم ما يسمى الخراج، وهكذا كان شأن الأرض في كل الممالك القديمة، فالأرض للحاكم، وللفلاحين أن يتمتعوا بها نظير حصة يدفعونها، وهي الخراج[2].

وأرض الخراج هي على قسمين:

- منها ما أخذ عنوة - أي بقوة السلاح - وهو المعبر عنه بالايجاف بالخيل والركاب، وهو يشكل القسم الأكبر من أرض الخراج.
- ومنها ما أخذ صلحاً، وهو القسم الأقل.

---

١) ابن رجب عبد الرحمن بن محمد الحنبلي، الاستخراج في أحكام الخراج، ص ٤.

٢) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج ٤، ص ١٩٣.

وأرض العنوة في الأصل سبيلها سبيل الغنيمة، تخمس وتقسم على الفاتحين، غير أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رأى غير هذا، فقد رأى أن يجعلها فيئاً موقوفاً على المسلمين وذراريهم"[1]، بعد أن اشتد النقاش بينه وبين المطالبين بالقسمة.

قائلاً: (أرأيتم هذه الثغور، لابد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام، كالشام والجزيرة والكوفة، والبصرة، ومصر، لابد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج)"[2].

لذلك رأى أن يحبس الأرضين، ويضع على أهلها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها، ليكون ذلك كله فيئاً للمسلمين"[3].

وقد وافقه على هذا الرأي نفر من المهاجرين، أما الأنصار، فالظاهر أنهم جميعهم كانوا موافقين لعمر فيما ذهب إليه "[4].

---

١) الأموال، ص ٧٥.

٢) الخراج، ص ٢٨.

٣) نفس المصدر، ن، ص.

٤) نفس المصدر، ص ٢٧.

غير أن حدة المطالبين بالقسمة لم تنقطع، مستحضرين في أذهانهم آية الغنيمة من سورة الأنفال ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنفال:٤١] حتى استنتج عمر صحة ما ذهب عليه من آيات الفيء من سورة الحشر قائلاً قد وجدت الحجة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ [الحشر:٦]، قال هذه في شأن بني النضير، ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر:٧]، قال هذه عامة في القرى كلها ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر:٨]، قال هذه في المهاجرين ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ

خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر:٩]، قال هذه فيما بلغنا والله أعلم للأنصار خاصة، ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر:١٠]، قال هذه عامة لمن جاء من بعدهم، فقد صار هذا الفيء بين هؤلاء جميعاً، فكيف نقسمه لهؤلاء وندع من تخلف بعدهم بغير قسم، فأجمع على تركه وجمع خراجه[1]، وقال استوعبت هذه الآية الناس[2].

وقد رأى أبو يوسف أن ذلك كان من تعريف الله لعمر وتوفيقه له، ومنه كانت الخيرة لجميع المسلمين[3].

---

١) الخراج، ص ٢٩، وانظر الخراج والنظم المالية، ص ١٠٦، وانظر كذلك الأموال، ص ٧٦.

٢) الأموال، ص ٦٦، وانظر الخراج، ليحيى بن آدم، ص ٤٣.

٣) الخراج، لأبي يوسف، ص ٢٩.

المطلب الثاني: أحكامها:

بالنظر إلى وجود الصوافي لدى الدولة العُمانية عبر تاريخها الإسلامي منذ ظهور الإسلام وحتى يومنا هذا، فقد ناقش الفقهاء العُمانيون حيالها جملة من الأحكام منها:

- عدم جواز بيعها، غير أن بعض العلماء أجاز للإمام أن يبيع منها إذا عنى المسلمين حرب، وخاف على الدين والدولة الذهاب.

أما إذا باعها الإمام غير العدل، فإن ذلك البيع غير جائز، ويعتبر المشتري كالغاصب، نظراً لانتقاء صحة البيع، وبالتالي عدم ثبوت ملكيته لها، وتحرير القول في هذه المسألة أن الخلاف يتنازعها بين الجواز وعدمه إذا كان البائع الإمام العدل.

أما إذا كان البائع غير الإمام العدل فإن القول بعدم الجواز، هو القول الوحيد[1] وقد تعجب الإمام أبو سعيد الكدمي[2]–وهو من أبرز الفقهاء العُمانيين– من القول بإجازة بيعها قائلاً: (وإني لأعجب من قول من قال بإجازة بيعها والله عز وجل يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر:١٠][3]،

---

١) المصنف، ج١٩، ص ١١٩، الضياء، ج٦، ص ٢٦٣، منهج الطالبين، ج٥، ص ٣٤٦.

٢) تقدم التعريف به.

٣) المصنف، ج١٩، ص ١١٩، منهج الطالبين، ج٥، ص ٣٦٦.

ويفهم من كلام هذا الإمام أن رأيه هو ما ذهب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أن الصوافي كأرض الخراج تكون فيئاً موقوفاً على المسلمين وذراريهم.

- جواز الأكل منها، للغني والفقير باعتبارها فيئاً للمسلمين، أما الفقير فلحاجته إلى ذلك نظراً لفقره، وأما الغني فجوزوا له ذلك عند الحاجة، لكنهم اشترطوا عند وجود الإمام العدل أن يكون الأخذ منها برأيه (وإن كان إمام عدل فأحب أن لا يؤخذ منها شيء إلا برأيه، وإن لم يكن إمام عدل فلا بأس على من أكل منها إذا احتاج إلى ذلك)[1]، غير أن الأمام ابن بركة[2] يرى عدم جواز الأخذ منها، على اعتبار أنها لعموم المسلمين، وبما أنها لعموم المسلمين فلا يجوز لأحد أن يأكل منها[3].

---

١) المصنف، ص ١٥٩، المنهج، ص ٣٤٠، الضياء، ص ٢٦٣.

٢) هو الشيخ العلامة الكبير أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمي البهلوي، إمام التحقيق والتأصيل، من علماء القرن الرابع الهجري، حمل العلم عن أبي مالك الصلاني، وأبي مروان، سليمان بن محمد بن حبيب وأبي يحيى عبد العزيز بن خالد، ومن أشهر تلاميذه أبو الحسن البسبوي، من مؤلفاته كتاب الجامع وكتاب التقييد وكتاب التعارف، البطاشي، اتحاف الأعيان، ج١، ص٢٢٦.

٣) الضياء، ج٦، ص٢٦٥.

على أن الرأي القائل بجواز الأكل من الصافية في رأيي هو الأنظر والأنسب، وذلك لأنها لعموم المسلمين، فالمسلم المحتاج إلى الأكل يكون له حق فيها فلا سبيل إلى منعه.

- جواز أخذ بعض الأشجار غير المثمرة، إذا كان ذلك لا يشكل ضرراً على الصوافي، أما إذا كان الشجر مثمراً أو يشكل ضرراً فالقول في ذلك هو المنع[1].
- جواز أخذ بعض التراب، إذا كان ذلك لا يشكل ضرراً[2].
- جواز البناء عليها، بشرط أن تكون للباني المنفعة فقط ويؤول البناء إلى الصوافي، على أن يتم ذلك وفق مراعاة مصلحة الصوافي[3].
- جواز المفاسلة (الغرس) في الصوافي على نصيب معين من الأرض والنخل، أو غير ذلك من الشجر، إذا كان ذلك في سبيل بقاء الدولة وإحياء الحق.
- عدم وجوب الزكاة فيها، باعتبارها وقفاً عاماً للمسلمين، وعدم ثبوت ملكية أحد من الناس عليها[4].

---

١) المصادر السابقة.

٢) المصادر نفسها.

٣) المصادر نفسها.

٤) بيان الشرع، ج١، ص.

- إذا سرق الفقير شيئاً من الصافية، فإن كان إمام عدل فعليه إبلاغ الإمام بذلك، وليس للإمام أن يطالبه بدفع قيمة ما سرق، إلا إذا خرج بذلك المسروق من حد الفقر إلى حد الغنى، فإن عليه أن يدفع قيمة الفارق بين حدي الفقر والغنى، وإن كان لا يوجد الإمام العدل، فعليه أن يدفع قيمة ذلك إلى الفقراء[1].

ولعله من المناسب أن نشير إلى السؤال المطروح حالياً من بعض الناس، وهو ما هي الجدوى الاقتصادية من هذه الأصول في وقتنا الحاضر، أليس من الأفضل بيعها واستبدال عقارات كبنايات ومحلات تجارية بديلاً عنها؟

لا شك أن هذا السؤال يبدو منطقياً أمام الحسابات المادية البحتة، بعد أن طفت عوائد اقتصادية أخرى همشت إلى حد كبير العوائد الاقتصادية لأصول بيت المال، وقلّلت من أهميتها.

غير أنه بشيءٍ من التروي والتحليل يتبين عدم صحة هذا الرأي للأسباب التالية:

١ – إن أصول بيت المال تختزن ذاكرة حضارية لعُمان، وهو أمر – ولا شك – يحسب لعُمان خازناً ومخزوناً، والتفريط في هذه الأصول تفريط في الذاكرة العُمانية.

---

١) المصادر السابقة.

٢ – وجود هذه الأصول يكرس الاستقرار الأمني والاجتماعي، فهناك الكثير من الأسر العُمانية التي تستفيد من هذه الأصول أكلاً، وسكناً، كما أن عدداً غير قليل من المواطنين يعملون فيها أعمالاً فلاحية مختلفة.

٣ – وجودها يحافظ على هيبة الدولة أمام مواطنيها، فإن المواطن العُماني وهويرى أمام ناظريه تلك الأصول منتشرة ومتوزعة في مناطق وولايات السلطنة، لا شك أنه يرى في ذلك حضوراً للدولة، وسكوناً لها في وجدانه.

٤ – أن بيعها واستبدال بنايات سكنية ومحلات تجارية بها، أمر يذهب هذه المعطيات الأمنية والاجتماعية، بل ويذهب هيبة الدولة.

لذا: أرى بيع أصول بيت المال غير صحيح، وإنما ينبغي تطويرها تنميةً واستثماراً.

المطلب الثالث: أقسامها:

تنقسم الصوافي العُمانية إلى خمسة أقسام هي:

١) **الضواحي**[1]: (مزارع النخيل): وهي عبارة عن بساتين مغروسة بالنخل، ويطلق عليها أيضاً (المقاصير)، وهي تشكل أهم أقسام الصوافي الخمسة، حيث كان بيت المال يعتمد على هذا النوع من الصوافي اعتماداً كبيراً، فمن هذه الضواحي أو المقاصير يكون جني الرطب والتمر، لتوفر محصولها صيفاً وشتاءً حيث يعتمد العُمانيون على هذا المحصول إلى حد كبير كمادة غذائية أساسية في حياتهم اليومية، وتشكل الصوافي في عُمان شريحة واسعة ومنها مزارع النخيل فيها.

ويوجد من هذا النوع من الصوافي ثلاثمائة وتسع (٣٠٩) ضواح أو مقاصير حسب إحصائية وزراة الأوقاف والشؤون الدينية بالسلطنة، موزعة على عدد من مناطق السلطنة منها:

- ثمان (٨) ضواح في منطقة الظاهرة.
- اثنان وثمانون (٨٢) ضاحية في منطقة الباطنة جنوب.
- أربع وأربعون (٤٤) ضاحية في منطقة الباطنة شمال.
- مائة وخمسة وسبعون (١٧٥) ضاحية في المنطقة الداخلية.

---

١) يطلق العمانيون على مزراع النخيل إذا كانت غير مسورة (ضواح) جمع ضاحية، أما إذا كانت مسورة فهي مقاصير، جمع مقصورة.

٢) **الأراضي الزراعية:** وهي أراض تزرع بصنوف الخضار والحبوب، والبقولات، والفواكه، وفي بعض الأحيان شيء من النخل، وهذه تكون مؤجرة على المواطنين بإيجار سنوي يدخل إلى خزينة الدولة (وزارة المالية).

ويوجد حالياً من هذا القسم من الصوافي، ألف وأربعمائة وأربع وسبعون (١٤٧٤) قطعة حسب إحصائية وزراة الأوقاف والشؤون الدينية، موزعة على المناطق التالية:

- مائتان وسبع وثمانون (٢٨٧) قطعة في مناطق الظاهرة.
- ثلاث وخمسون (٥٣) قطعة في منطقة الباطنة جنوب.
- اثنتا عشرة (١٢) في منطقة الباطنة شمال.
- ألف واثنتان وثمانون (١٠٨٢) قطعة في منطقة الداخلية.
- ثلاثون (٣٠) قطعة بالمنطقة الشرقية جنوب.
- سبع (٧) قطع في المنطقة الشرقية شمال.
- ثلاث (٣) قطع في منطقة مسندم.

٣) **الأراضي السكنية:** وهي أراض بيضاء لا توجد بها عمارة أو أنها كانت بها عمارة في القديم، ولكنها الآن غير صالحة للزراعة لأسباب منها: فساد تربتها، أو زحف التصحر عليها، أو لعدم توفر المياه فيها.

وهي أيضاً تكون مؤجرة على المواطنين بإيجار سنوي، وربما يكون في بعض الأحيان أو الأماكن الإيجار شهرياً.

ويوجد من هذ النوع من الصوافي مائتان وخمس وتسعون (٢٩٥) قطعة حسب إحصائية الوزارة المذكورة، موزعة كالتالي:

- سبع وأربعون (٤٧) قطعة في منطقة الظاهرة.
- مائة وثلاث عشرة (١١٣) في منطقة الباطنة جنوب.
- مائة واثنتان وعشرون (١٢٢) قطعة في المنطقة الداخلية.
- ثلاث عشر (١٣) قطعة في المنطقة الشرقية جنوب.

٤) الأراضي التجارية: وهي أراض تنشأ عليها محلات ومبان تجارية لأغراض تجارية، وتكون متميزة بمواقعها المناسبة للحركة البشرية لتحقيق الغرض التجاري في المنطقة، وهي أيضاً مؤجرة على المواطنين العُمانيين بإيجارات سنوية أو شهرية، يضم ريعها إلى خزينة الدولة (وزارة المالية).

ويوجد من هذا القسم من الصوافي عدد ثلاثمائة وتسع (٣٠٩) قطع حسب إحصائية الوزارة الآنفة الذكر، موزعة كالتالي:

- ست (٦) قطع في منطقة الظاهرة.
- ثماني عشرة (١٨) قطعة في منطقة العاصمة مسقط.
- إحدى عشر (١١) قطعة في منطقة الباطنة جنوب.
- واحدة (١) في الباطنة شمال.
- مائتان وستون (٢٦٠) قطعة في المنطقة الداخلية.
- ثلاث عشرة (١٣) قطعة في المنطقة الشرقية جنوب.

٥) **الأراضي الصناعية:** وهي التي تعمل عليها منشآت صناعية، مثل ورش تصليح السيارات والمصانع، وغير ذلك من أعمال التصنيع والصيانة.
وهذه أيضاً تكون مؤجرة على المواطنين، ليكون ريعها لصالح الدولة بواسطة وزراة المالية، ويوجد من هذا الصنف من الصوافي ست (٦) قطع فقط حسب إحصائية الوزارة المذكورة كما يلي:

- خمس (٥) قطع في المنطقة الظاهرة.
- واحدة (١) في منطقة مسندم.

وهذه الأصول، من بساتين (نخيل وأشجار) وأراض زراعية، وتجارية وصناعية، وأسواق، كان لها تاثيرها الحضاري على المجتمع العُماني، ذلك الأثر الحضاري الذي سنتحدث عنه في الفصل القادم.

الفصل الثالث

الأثر الحضاري لأصول بيت المال في عُمان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأثر التربوي.

المبحث الثاني: الأثر الاقتصادي.

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي.

المبحث الأول
الأثر التربوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المساجد وعمارتها

المطلب الثاني: تعليم القرآن

المطلب الثالث: تدريس العلوم الشرعية

المطلب الأول: المساجد وعمارتها

من أهم معالم الحضارة الإسلامية ذات الأثر التربوي في حياة المسلم هي المساجد، فإلى جانب كون المساجد دوراً للعبادة، كان المسجد أيضاً مكاناً للتعليم والإرشاد، ومناقشة القضايا الإسلامية، يقول الله عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧]، ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

لذلك كان اهتمام النبي –صلى الله عليه وسلم– عند مقدمه المدينة المنورة بادئ ذي بدء هو بناء المسجد، روى ابن هشام قال: (حتى أتت – أي ناقة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده –صلى الله عليه وسلم –، وهو يومئذٍ مربد لغلامين يتيمين من بني النجّار إلى أن قال: (ونزل عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يارسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي، وسأرضيهما عنه فاتخذوه مسجدا، فأمر به

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يبنى مسجداً.. فعمل فيه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه[1].

وبعد ذلك كانت عناية الدولة الإسلامية بالمساجد مستمرة، فقد ظهرت المساجد الكبرى في العواصم الإسلامية المختلفة، وأولتها عناية خاصة عبر مراحل التاريخ الإسلامي.

أما في عُمان فقد كانت الدولة لها أيضاً اهتماماتها بالمساجد، فقد تم بناء عدد كبير من المساجد، وامتلأت بها عُمان في جميع أنحائها، منذ وصول الإسلام إليها على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم -.

ولعله من المناسب أن نشير إلى أول مسجد بني في عُمان ألا وهو مسجد الصحابي العُماني الجليل مازن بن غضوية في سمائل، والذي يعرف أيضاً بمسجد المضمار نسبةً إلى المحلة التي يقع فيها، وقد بناه مازن بعد عودته من رحلته الأولى إلى مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم -، تلك الرحلة التي تشّرف فيها بلقاء النبي – عليه الصلاة والسلام -، وأعلن إسلامه أمام الحضرة النبوية، وعندما رجع إلى بلده سمائل قام ببناء المسجد المذكور[2] وهناك أخذ ينشر الإسلام ويعلم القرآن، ويقيم الصلاة.

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ١٠٠، ١٠٢.

٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، ج٢، ص ٢٥٨، دار الكتب العلمية – بيروت.

ونستنتج من هذا أهمية المسجد في الحياة الإسلامية، لذلك كان حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على بناء المسجد كأول عمل عمراني في المدينة المنورة.

كما أنه - عليه الصلاة والسلام - عندما نزل في بني عمرو بن عوف أول مقدمه المدينة، أسس مسجداً هنالك، وكان أول مسجد بني في الإسلام، وعلى هذا كان يجري تخطيط المدن الإسلامية، يقول الإمام السالمي[1]:

وينبغـــي لمـــن يخطـــط البلـــدا يقـــدّمن للصـــلاة مســـجدا

يعمـــره مـــن قبـــل أن يعمـــروا لأن هـــذا للإلـــه يعمـــر

وتتجلى عناية الدولة في عُمان بالمساجد في شيئين اثنين هما:

١ - بناؤها وصيانتها:

كان بناء المساجد في عُمان يتم بإحدى طريقتين هما:

- إما من قبل الأهالي وهي الأكثر، فقد اعتاد أهل الغنى واليسار أن يقوموا ببناء المساجد وتشييدها، ووقف الأموال اللازمة لها صيانةً وتشغيلاً.

- وإما من قبل الدولة وهي الأقل، حيث كان الحكام يقومون ببناء المساجد.

على أنه لا يوجد لدينا دليل على أسماء تلك المساجد وتواريخها التي تم بناؤها فيه من قبل الدولة التي تعاقبت على حكم عُمان عدا بعض منها.

---

١) جوهر النظام، ج١، ص ٧٩، طبعة الحاضي.

ففي ظني أن مساجد الجوامع في المدن الرئيسية من عُمان تم بناؤها من قبل تلك الدول.

٢ – تعيين الأئمة والمؤذنين:

كانت الدول تقوم بتعيين أئمة للمساجد يقومون بإمامة المصلين، وبالمحافظة على المساجد، من حيث صيانتها ونظافتها، وتعهدها بالمستلزمات المطلوبة، والإشراف على جميع شؤونها، ويتقاضى إمام المسجد أجرة شهرية من بيت المال أو من أوقاف المسجد حسب مستواه ومؤهلاته، وحسب أهمية المسجد الذي يعين فيه.

وهناك أيضاً المؤذنون، الذين ينادون للصلاة، ومساعدة الإمام في إمامة المصلين، عند غياب الإمام عن الصلاة، كما يقوم بالإشراف على صيانة المسجد ونظافته والمحافظة عليه، ويعطى المؤذن أيضاً أجرة شهرية مقابل عمله من بيت المال، أو من أوقاف المسجد، وأيضاً حسب مستواه وأهمية المسجد الذي يعمل فيه[1].

---

١) أما في وقتنا الحالي، فإن معظم أئمة المساجد والمؤذنين في مساجد السلطنة يتم تعيينهم من قبل الدولة، حيث بلغ عدد الأئمة والمؤذنين الذين تم تعيينهم على حساب الدولة العمانية ثمانمائة وستة وثمانين (٨٨٦) إماماً ومؤذناً.

المطلب الثاني: تعليم القرآن:

القرآن العظيم هو كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو معجزة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – الكبرى، أوحاه الله إليه وحياً جلياً بواسطة أمين وحيه جبريل – عليه السلام –، ومن أول لحظة تحددت فيها البعثة المحمدية في غار حراء بمكة المكرمة في السابع عشر من شهر رمضان[1]، كان نزول القرآن على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق:١-٥].

وبعد ذلك توالى نزول القرآن مبيناً معالم الدين عقيدة وشريعة ومنهاج حياة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى:٥٢].

وكان جبريل – عليه السلام – ينزل على النبي – عليه الصلاة والسلام – ويقرئه القرآن كل شهر رمضان في كل عام، حتى كان العام الذي قبض فيه

---

١) الخضري، محمد بك، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٨، دار الكتب العلمية – بيروت –.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اقرأه إياه مرتين ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٦-١٩].

كما كان – عليه الصلاة والسلام – يعلم أصحابه القرآن الذي كان يتلقاه عن ربه عن طريق جبريل، وصار الصحابة منهم من يحفظ جميع القرآن، ومنهم من يحفظ السور المعدودات، ومنهم من يحفظ السورة والسورتين، قال أنس بن مالك: (ما جمع القرآن على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا ستة نفر، كلهم من الأنصار، أبي معاذ، وزيد، وأبو زيد، وأبو أيوب، وعثمان) [1]، وفي رواية (إلا أربعة نفر)[2].

وكان أولئك الصحابة يعلمون غيرهم من المسلمين وأبناء المسلمين ما كانوا قد تعلموه من القرآن سماعاً من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي عهد عمر بن الخطاب تم إنشاء مدرسة للقرآن الكريم في المدينة المنورة، وكان الخليفة يتعهدهم بنفسه، وعندما ذهب إلى الشام لاستلام مفاتيح

١) رواه الربيع بن حبيب.

٢) رواه الترمذي.

مدينة القدس، وعند عودته إلى المدينة خرج التلاميذ يستقبلونه من مسيرة يوم[1].

وهكذا سارت الحياة الإسلامية في أوساط المسلمين بأن يبدأوا بادئ ذي بدء في حياة أطفالهم بتعليمهم القرآن عملاً بالحديث النبوي الشريف (علموا أولادكم القرآن فإنه أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله هو)[2].

وقد اهتم المسلمون بالقرآن تعلماً وتعليماً أينما ذهبوا، وقد شهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – لمن فعل ذلك بالخيرية حيث روي عنه (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[3].

ولم يفت الدول الإسلامية في تاريخ الإسلام من الاعتناء بتعليم القرآن، وكانت الدولة الإسلامية في عُمان لها هي الأخرى اهتمامها وعنايتها بتعليم القرآن، وكان بيت المال حاضراً لدفع النفقات المتمثلة في:

١ – بناء المدارس (الكتاتيب):

تقوم الدولة ببناء المدارس لتعليم القرآن، وهي منتشرة بشكل واسع، على أن الكثير من هذه المدارس القرآنية لها أوقاف خاصة بها، وينفق على تشغيلها

١) شحاتة، عبد الله محمود، علوم القرآن، ص ٣٥، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

٢) رواه الربيع بن حبيب.

٣) رواه البخاري.

من ريع تلك الأوقاف، حتى أن أجرة المعلم في كثير من الأحيان والأزمان تصرف من ريع تلك الأوقاف، وفي الغالب فإن لكل مدرسة قرآنية معلماً واحداً أو معلمة، وعادة ما يدخل الطفل إلى المدرسة وهو في الخامسة من عمره، ويبقى مستمراً بها حتى يكمل قراءة المصحف الشريف، ويبدأ أول ما يبدأ به بتهجي الحروف الأبجدية وتشكيلها، ثم كتابتها، وبعد ذلك يبدأ في تعلم قصار السور من جزء (عم) حتى ينتهي من جزء (عم) لينتقل إلى القراءة ابتداءاً من سورة البقرة قراءة نظرية من غير حفظ، أما جزء (عم) وهو الجزء الثلاثون من أجزاء المصحف، فإن التلميذ يحفظه عن ظهر قلب.

٢ - تعيين معلمي القرآن الكريم:

يتم تعيين معلمي القرآن الكريم في المدارس القرآنية المنتشرة في أنحاء عُمان، وفي الغالب فإن أجرة المعلمين تصرف من الأوقاف الخاصة بكل مدرسة، وإذا كانت لا توجد للمدرسة أوقاف، فإن الأهالي هم الذين يتولون دفع أجرة المعلم شهرياً.

أما إذا كان ليس في مقدور الأهالي دفع تلك الأجرة، فإن الدولة تتكفل بدفع الأجرة إلى المعلم[1]، وهذا وإن كان محدوداً إلا أنه يظل إسهاماً من بيت المال في تعيين معلمي القرآن في عُمان[1].

---

١) مقابلة مع الشيخ علي بن ناصر المفرجي، من مواليد سنة ، عمل قاضياً في عدة ولايات، كان آخرها على ولاية بهلا، وقد تمت المقابلة في منزله في بهلا.

- شراء المصاحف:

لمراً إلى وجود طلبة لا يستطيعون توفير المصاحف القرآنية، أو أن ذويهم
س بمقدورهم ذلك فإن الدولة تقوم بتوفير المصاحف اللازمة لهم[1]، ويتم
فير تلك المصاحف من بيت المال، وأحياناً يؤجر على نسخها، نظراً لأن
صاحف في السابق لم تكن متوفرة بالشكل المطلوب.

وفي الوقت الحاضر فإن الدولة هي التي تتولى دفع أجور المعلمين، حيث يتم تعيين جميع معلمي القرآن من قبل الدولة عن طريق وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالسلطنة، وقد بلغ عدد المعلمين الذين تم تعيينهم ثلاثمائة وثمانية وستين (٢٦٨) معلماً ومعلمة. كما أن الوزارة تعنى بفتح مراكز صيفية لتحفيظ القرآن استغلالاً لأوقات الطلبة أثناء العطلة الصيفية للمدارس العامة، وقد بلغ عدد المراكز التي أقيمت في صيف ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ثلاثمائة وأربعين (٣٤٠) مركزاً.

سورة

المطلب الثالث: تدريس العلوم الشرعية:

تدريس العلوم الشرعية، كان منتشراً في سائر بلاد الإسلام، وقد أنشئت له المدارس ووقفت له الأوقاف، واعتنت الدول الإسلامية بتدريس العلوم الشرعية في كثير من الأحيان، بل كان حكام المسلمين يبادرون ويتنافسون في تكريم العلماء وتقريبهم إليهم، وإقامة المدارس لهم لكي يقوموا بالتعليم، الأمر الذي جعل طلبة العلم الشريف يقبلون على تلقي العلم الشرعي وما كان يصاحبه من علوم العربية نحواً وصرفاً وبلاغة امتثالاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢]، ولقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[1].

وباعتبار عُمان بلداً عربياً ومسلماً كغيره من من بلدان العرب والمسلمين فقد كان الاهتمام بتدريس العلوم الشرعية متواصلاً سواء كان من قبل الدولة أم من قبل أهل العلم أنفسهم، ولقد كان اهتمام الدولة في عُمان بهذا الأمر ملحوظاً، حيث يظهر ذلك جلياً في الأمور التالية:

---

١) رواه الربيع ومالك والبخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه والدرامي.

- تعيين المدرسين:

وم الدولة بتعيين المدرسين الذين يقومون بالتدريس، وتعطى لهم رواتب ن بيت المال، وذلك الراتب يكون شهرياً حسب المستوى العلمي مدرس، ويكون التعيين بناءً على رغبة الأهالي في شخص ما، وبعد ذلك م تعيينه من قبل الدولة، أو أن الدولة هي التي تختار الشخص المناسب تدريس، وتقوم بتعيينه في المنطقة التي يراد لها ذلك بناءً على طلب أهالي[1] في تلك المنطقة، أما في الحواضر العلمية في عُمان كنزوى ومسقط الرستاق مثلاً فإن اختيار المدرسين يكون من قبل الدولة، حيث إن تدريس يكون بصورة مستمرة، كما أن عدد الطلبة في الغالب يكون كبيراً، حيث إنهم يأتون للدراسة من كل مكان أو من أغلب الأماكن من عُمان.

٢ - الإنفاق على الطلبة:

عندما يكون التعليم في حواضر العلم في عُمان، فإن الطلبة يقبلون من ماكن شتى من أنحاء عُمان، وبالتالي فإن أولئك الطلبة بحاجة إلى نفقة إعاشة، هنالك يكون الإنفاق عليهم من إحدى جهتين، إما من الأوقاف لموقوفة لذلك، حيث يوجد في عُمان أوقاف تعرف بأوقاف المتعلمين، أو

[1] الفتح الجليل، من أجوبة الإمام أبي خليل، ص ٣٦.

يكون الإنفاق من بيت المال، وذلك الإنفاق يتمثل في أحد أمرين، إما أن يكون بتوفير الإعاشة من غذاء ومسكن كما كان الحال في مدرسة حصن جبرين على عهد الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي[1]، أو في نزوى على عهد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي[2].

وإما بمنح الطلبة إعانات نقدية شهرياً لكي يقوموا بالصرف على أنفسهم كما كان عليه الحال في مسقط في مسجد الخور، وكنت واحداً من هؤلاء الطلبة، حيث إنني قد درست في حلقة مسجد الخور بمسقط، وكنت أحصل على إعانة نقدية شهرية كغيري من الطلبة الذين هم زملائي، وكنا ننفق على أنفسنا سكناً وتغذيةً، هذا في حال أن يكون الإنفاق على الطلبة من بيت المال.

أما إذا كان الإنفاق من الجهات الوقفية – أي أوقاف المتعلمين – فإنه يكون بمنح الطلبة إعانات نقدية شهرية، ويتولون هم أنفسهم الإنفاق على شؤونهم من حيث السكن والتغذية، على أنه يكون هناك أحياناً بيوت موقوفة لسكنى طلبة العلم.

---

١) تحفة الأعيان، ج٢، ص ٨٥.

٢) مقابلة الشيخ خالد بن مهنا البطاشي، وهو أحد طلبة الإمام الخليلي، وقد عمل قاضياً في عدة ولايات، وهو الآن متقاعد، مقابلة في منزله بالوادي الكبير في ٢٤ مايو ٢٠٠٢ م.

على أن بعض الطلاب يتكلفون بأنفسهم من حيث النفقة، وهذا إذا كان الطالب على يسر وسعة في الحياة.

كما أنه في بعض الأحيان والأزمان، يتولى مشايخ العلم الإنفاق على طلبتهم، كما كان عليه الحال – على سبيل المثال عند ابن بركة في بهلا[1]، والشقصي[2] في الرستاق، والخليلي[3] في بوشر ثم في سمائل.

ونستنتج مما مر اهتمام الدولة في عُمان عبر مراحلها التاريخية بتيسير سبل العلم.

وإحساس الشخص العُماني بأهمية العلم الديني، حيث قام بوقف الأموال لهذا الغرض الشريف، كما أن بعض العلماء العُمانيين كانوا على سعة مادية جيدة تتيح لهم الأنفاق على طلبتهم، عكس ما هو شائع ومألوف من كون علماء الدين على قلة ذات اليد غالباً.

---

١) تقدم التعريف به.

٢) هو خميس بن سعيد الشقصي، الرستاقي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، قامت عليه دولة اليعاربة، حيث إنه هو الذي قام بتنصيب الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وقاد الكتائب لحرب البرتغاليين، من مؤلفاته كتاب منهج الطالبين في عشرين مجلداً، البطاشي، إتحاف الأعيان، ج٣، ص ١٤٩.

٣) هو سعيد بن خلفان الخليلي، قامت عليه دولة الإمام عزان بن قيس البوسعيدي، حيث إنه هو الذي بايعه بالإمامة، له العديد من المؤلفات والأجوبة، توفي ١٢٨٧ هـ – ١٧٨١ م.

٣ – شراء الكتب ونسخها:

لا يخفى أن المعلم والكتاب هما دعامتا العلم ووسيلتاه، وحيث إن الطلبة غالباً ما يكونون من ذي القلة المادية فإنهم يلجأوون إلى المسئولين القائمين بالأمر لتزويدهم بالمتب المقررة، حتى يتمكنوا من القراءة والمطالعة وحفظ ما تلقوه عن مشايخهم.

لذلك كان يتم شراء تلك الكتب من بيت المال، فقد اشترى الشيخ أبو زيد عندما كان والياً على بهلا كثيراً من الكتب للمتعلمين، وذلك من بيت المال. وهكذا كان الإمام الخليلي يشتري الكتب للطلبة المتعلمين، وقد أخبرني السيد / حمد بن سيف البوسعيدي[1] ت (٦ ربيع الثاني ١٤١٩ هـ / ٣٠ يوليو ١٩٩٨ م) بأنه عندما كان طالباً يدرس في نزوى أراد شراء كتاب شرح النيل وشفاء العليل للإمام محمد بن يوسف أطفيش، وكان لا يتوفر لديه المبلغ لشراء الكتاب المذكور، فطلب من الإمام الخليلي شراءه له، فأمر الإمام الخليلي بشراء الكتاب.

كما كانت هنالك حركة لنسخ الكتب، نظراً لعدم وجود الطباعة سابقاً، وحتى عندما بدأت الطباعة، وأخذت الكتب المطبوعة في الانتشار في

---

١) هو السيد الفقيه حمد بن سيف بن محمد البوسعيدي، من تلاميذ مدرسة الإمام الخليلي، عمل والياً وقاضياً في العديد من ولايات السلطنة، توفي يوم الخميس ٦ ربيع الثاني ١٤١٩ هـ – ٣٠ يوليو ١٩٩٨ م.

البلدان العربية والإسلامية، كانت عُمان آنذاك بمعزل عن تلك الحركة العلمية القائمة على الطباعة والمطبوعات.

لذلك كان النسخ بالخط اليدوي هو الوسيلة المستعملة لاقتناء الكتب آنذاك، فمن أراد أن يقتني كتاباً من الكتب كان عليه اللجوء إلى النسخ والنساخ فقط.

ويسجل التاريخ العُماني ذكر أشخاص كانت لهم جهود طيبة في نسخ الكتب وإنقاذها من الإهمال والضياع، فمنهم قيس بن عزان البوسعيدي[1]، والشيخ عامر بن خميس المالكي[2](ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٦ م).

١) السيد قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، كان أميراً على الرستاق في عهد السلطان ثويني بن سعيد، تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٣٠.

٢) عامر بن خميس بن مسعود المالكي، ولد عام ١٢٨٠ هـ - ٣٦٨١ م، بوادي بني خالد، عالم وشاعر، كان من أقطاب دولة الإمامين سالم بن راشد ومحمد بن عبد الله الخليلي، وكان مرجعاً لأمور الدولة والقضاء والفتياء، توفي عام ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٦ م.

المبحث الثاني

الأثر الاقتصادي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تمويل خزينة الدولة

المطلب الثاني: إيجاد فرص العمل

المطلب الثالث: توفير المنتج الغذائي

المطلب الأول: تمويل خزينة الدولة

تعتبر خزينة الدولة الوعاء الذي يجمع أموال الدولة، لإنفاقها بعد الحصول عليها على مصالح الدولة والرعية، وذلك أن الدولة تحتاج إلى الأموال لإنفاقها في سبيل الحصول على السلع والخدمات التي تشبع بها الحاجات العامة[1]، وهو ما يعبر عنه بالموازنة العامة أو الميزانية، وتعني العلاقة بين الإيرادات التي تتمكن الدولة من الحصول عليها، وبين النفقات الصادرة إشباعاً للحاجات العامة[2]، وإذا كان هذا هو مفهوم الميزانية العامة للدولة فكيف كانت تتمول خزينة الدولة في عُمان عبر تاريخها الإسلامي؟.

إن أصول بيت المال في عُمان قامت بدور كبير في تمويل خزينة الدولة العُمانية، وتوفير الأموال اللازمة لكي تتمكن الدولة العُمانية في إنفاقها في سبيل إشباع الحاجات العامة للناس وتوفير الخدمات اللازمة، ولإنفاقها في سبيل مصالح الدولة وإعزازها، وقد كان الرافد الأساسي في هذا التمويل يأتي من بعض القنوات لأصول بيت المال ومنها:

١ – **طناء النخيل:** وطناء النخيل بيع ثمرة النخل بالنداء العلني، هو من العادات العُمانية التقليدية القديمة، وما زالت باقية حتى يومنا هذا في

---

١) عبد العال الصكبان، مقدمة في علم المالية العامة، ج١، ص ١٤.

٢) نفس المصدر، ص ١١.

جميع أنحاء سلطنة عُمان، وفي مختلف ولاياتها ومدنها وقراها، ولكن كيف تتم عملية الطناء – بيع ثمرة النخل – نخيل بيت المال؟ إنها تتم وفق الخطوات التالية:

أ- يكون هنالك إعلان من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عبر وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون والصحف اليومية، ويكون هذا الإعلان على مدى بضعة أيام، وفي العادة أو الغالب تكون ثلاثة أيام متوالية.

ب- يكون هنالك تحديد للجهة التي يقام فيها الطناء، كاسم الولاية والبلدة، حيث أن لكل جهة وقتاً معيناً.

ج- يجتمع الراغبون في الاستطناء – شراء التمر – في الوقت والمكان المحددين، وتتم عملية الطناء في ذلك الوقت وذلك المكان.

د- تقوم الوزارة – وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – بتشكيل لجنة في كل عام لهذا الغرض، ومن العادة تتشكل اللجنة من ثلاثة أشخاص هم الدلال، وهو الذي يقوم بالنداء، والمشرف وهو لقب وظيفي لمشرف أعمال الوزارة في الولاية التي تجري فيها عملية النداء، والمحاسب وهو الذي يقوم بتحصيل المبالغ وتقييدها للدولة، وهو من دائرة بيت المال (قسم المحاسبة) بالوزارة.

ه- أما كيفية عملية الطناء (النداء)، فيقوم الدلّال وهو الشخص المتخصص لهذا الأمر، ومهنة الدلّال هي مهنة معروفة في عُمان

ومحترفة من قبل أناس مخصوصين ومعروفين بها، وأحياناً تكون مهنة متوارثة أسرياً، يقوم ذلك الدلّال أو المنادي بطرح صنف النخيل المراد بيع ثمره بصوت عال يسمعه جميع الحاضرين الراغبين في الاستطناء (الشراء)، ثم تحدث المزايدة من قبل المتجمعين الراغبين في الاستطناء، على أن تكون المزايدة من الأسفل إلى الأعلى من حيث السعر، أما من يرسو عليه المزاد فهو لمن يقدم أعلى ثمن، لأن المطلوب من ذلك المنافسة لصالح بيت المال، وبعد رسو النداء أو المزاد على اي مشتر يصبح ذلك المشتري ملزماً بقيمة ما اشترى، ولا يقبل منه إرجاع ما اشترى من النخيل، على أنه من المناسب أن نذكر أن بيع ثمر النخيل لا يكون إلا بعد النضج كما جاء في الحديث النبوي الشريف أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نهى عن بيع الثمار حتى تزهو، وفي رواية أخرى حتى يبدو صلاحها.

و- لابد من الدفع نقداً وحاضراً، حيث إن الأجل والنسيئة أو التقسيط أمور غير مقبولة في هذه العملية، هذا في الغالب العام، بيد أنه كانت تحدث في الماضي بعض عمليات الطناء بالأجل حسب ظروف بعض الأشخاص.

ز- بعد أن يقوم المحاسب بجمع النقود المتحصلة من عملية الطناء، يدفع للدلّال (المنادي) مكافأته بواقع (٢%) من إجمالي المبلغ.

ح- عادةً يتم الطناء على مرحلتين زمنيتين، تكون الأولى في شهر يونيو، والثانية في شهر يوليو من كل عام، وكل صنف من النخيل يستغرق مسافة زمنية من الشهر، نظراً لتقدم بعض الأصناف على البعض الآخر حسب الجهات المختلفة في عُمان[1].

هذه هي الخطوات المعمول بها في عملية طناء النخيل التابعة لبيت المال العُماني، وهناك أيضاً عملية أخرى لبيت المال هي بيع التمور الجافة.

٢ – **بيع التمور:** وهي التمور الجافة، وذلك النوع يطلق عليه بسر المبسلي، والمبسلي صنف من أصناف النخيل في عُمان، ويعد هذا الصنف لتصدير ثمره إلى خارج عُمان، وبالتحديد فهو يصدر إلى الهند، وتقوم هذه العملية وفق الخطوات التالية:

أ- يكون جذاذ (قطع) عذوقه عندما يكون بسراً أي قبل أن يصير رطباً.

ب- يطبخ البسر على النار في أماكن تخصص لذلك يطلق على كل مكان (التركبة)، ويتم الطبخ في قدور كبيرة تعرف بالمراجل، واحدها مرجل.

---

١) دائرة بيت المال بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

ج- بعد الطبخ تجفف البسور تحت أشعة الشمس في أمكنة معدة لذلك يطلق عليها المصاطيح جمع مصطاح.

د- بعد ذلك تعبأ البسور في أكياس تعرف بالجواني، جمع جونيه.

ه- يتم بيعها إلى التجار العُمانيين الذين يقومون بدورهم بتصديرها إلى الخارج.

ولا تزال هذه العملية التي يطلق عليها عملية التبسيل تمارس حتى وقتنا الحاضر من قبل الأهالي في سلطنة عُمان[1].

٣ – تأجير الأسواق:

وقد علمنا مما مر أن هناك أسواقاً في مختلف الولايات العُمانية تتبع بيت المال، وتعد أصولاً من أصول بيت المال في عُمان، وهذه الأسواق تؤجر إلى المواطنين العُمانيين بإيجار سنوي، أما كيف تتم عملية التأجير فهي كالتالي:

أ) النداء في سوق الولاية وفي الميادين العامة، عن رغبة الدولة في تأجير السوق بما فيه من محلات تجارية وكبرات وعرصات، وذلك عن طريق المزايدة لأعلى سعر، وتكون مدة النداء أسبوعاً واحداً.

ب) تسجيل اسماء المزايدين، ويرسو الإيجار لمن يدفع أعلى سعر.

---

١) وحالياً تقوم وزارة التجارة والصناعة في حكومة السلطنة بشراء هذه التمور (البسر) من المواطنين العمانيين لتتولى عملية تصديرها إلى خارج السلطنة.

٤ – تأجير الأراضي:

وهي أراض زراعية وتجارية وصناعية، وتتم عملية التأجير بالإعلان عنها في الأسواق والميادين العامة في الولايات، وبالنسبة إلى الأراضي الزراعية فإن التأجير يكون سنوياً، أما الأراضي التجارية والصناعية فتأجيرها يتم عن طريق الاستثمار، وفي الغالب تكون مدة الاستثمار تتراوح بين عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة، وبعد هذه المدة التي تكون قد حددت بين الدولة والمستثمر فإن على المستأجر (المستثمر) أن يتخلى عن الأصل ليعود إلى ملكية بيت المال[1].

١) دائرة بيت المال.

المطلب الثاني: إيجاد فرص العمل:

تولي الدولة اهتماماً ببناء هيكلها الوظيفي عن طريق تعيين أشخاص كمسئولين عن تنفيذ الخدمات المطلوبة لمواطنيها، حفظاً للأمن، وتشغيلاً للأيدي العاملة، وتنميةً للوطن، وهنا يظهر أثر بيت المال في إيجاد فرص عمل متعددة، تستفيد منها شريحة واسعة من المواطنين.

وكانت التعيينات في الدولة العُمانية قبل عام ١٩٧٠ م تتمثل في الوظائف التالية:

١ – **الولاة:** والوالي يشرف على جميع الأعمال في ولايته، وهو مسئول عن حفظ الأمن، وتنفيذ الأحكام، والأمور الاجتماعية إلى غير ذلك من الأعمال التي تربط علاقة الحاكم بالمحكوم، ويدفع له راتب شهري من بيت المال، وأحياناً يكون عمله مقابل ما يحصل من الولاية من دخل مادي[١]، وكيفية تعيين الولاة كانت تتم بناء على خطاب من ولي الأمر إلى الذي يراد له أن يكون والياً على منطقة من المناطق، ويطلق على ذلك الخطاب أحياناً (العهد)، ويقال عهد الإمام إلى واليه، وعادةً يتضمن خطاب التعيين أو العهد نصائح، كتقوى الله تعالى، وإقامة العدل، والمساواة بين الناس، والإنصاف بين المتخاصمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتماد على الأمناء من الناس، والأمر بإحياء السنة وإماتة البدع، وكيفية جمع الزكاة

١) الفتح الجليل، من أجوبة الإمام أبي خليل، ص ٣٨، المطبعة العمومية – دمشق.

وتوزيعها في مصارفها، إلى غير ذلك من النصائح المفيدة، وعلى العموم فإن تلك العهود تعتبر دساتير حكم متكاملة، (واعلم أني وضعت لك جملاً في كتابي هذا، مما أرجو لك، ولي فيه السلامة من العيب، وإحياء للسنة، وإماتة للبدعة، واقتد بما كتبت لك، ولا تجاوز شيئاً من ذلك، ولا تختر عليه غيره، فإنك إن تركت شيئاً مما كتبت لك، وعملت بخلافه لم آمن عليك العيب في الدنيا والآخرة)[1].

٢ **القضاة:** والقاضي هو الذي يقوم بإصدار الأحكام الشرعية، وكان القاضي في السابق هو الذي يحمل العلوم الشرعية وعلوم العربية، ويتم تعيينه بعد أن يشتهر في الناس علمه، أو يقوم بتزكيته العلماء الذين تلقى العلم على أيديهم، وللقاضي مرتب شهري من بيت المال[2]، ويتفاوت المرتب بحسب رتبة القاضي ومكانته العلمية وأهمية الولاية التي يكون قاضياً عليها، على أنه أحياناً يتم جمع وظيفتي الولاية والقضاء لشخص واحد، شريطة أن يتمتع بالكفاءة الإدارية والأهلية القيادية، وسعة العلم.

ويتم تعيين القاضي بخطاب أيضاً من ولي الأمر، ويطلق على ذلك الخطاب (العهد)، ويتضمن خطاب القاضي في العادة توجيهات بكيفية الأحكام الشرعية، وإصدارها وتنفيذها، وتتلخص تلك التوجيهات في الأمر بتقوى

١) تحفة الأعيان، ج١، ص ١٩٢، من عهد الإمام الصلت بن مالك إلى واليه غسّان بن جليد.

٢) الفتح الجليل، ص ٣٦.

الله عز وجل، والحكم بالكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، والرجوع إلى آثار المسلمين، والمساواة في الحكم بين الرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس أمور دينهم، وعقوبة أهل الجنايات، وإجراء النفقات، وإقامة الوكلاء للأيتام والغيّاب ومن لا يملك أمره، وتزويج من لا ولي لها، وتطليق من ثبت لها الطلاق إلى غير ذلك من التوجيهات المفيدة والنصائح الحميدة[1].

٣ – **كتّاب الصكوك:** وكاتب الصكوك هو الذي يقوم بكتابة الصكوك الشرعية التي تقيد فيها الأحكام التي يصدرها القاضي، لذلك يقوم كاتب الصكوك بالكتابة بين المواطنين في معاملاتهم والتزاماتهم المالية، وإقرارتهم واعترفاتهم إلى غير ذلك من المعاملات التي تحتاج توثيق، ويتم تعيين كتّاب الصكوك الشرعية في المحاكم، أو في القرى التي تتبع الولاية.

ويصرف لكاتب الصكوك راتب شهري من بيت المال[2]، على أنه يشترط فيه أن يكون ذا خط جيد، ومعرفة لا بأس بها بالأحكام الشرعية تعينه على معرفة تدوين المعاملات والأحكام وسائر الالتزامات المالية والاجتماعية التي يطلب منه توثيقها.

---

١) نفس المصدر، ص ٦٩٦.

٢) نفس المصدر، ص ٣٤.

٤ – **الوكلاء:** والوكيل هو الذي يشرف على أصول بيت المال لإصلاحها صيانةً وسقياً وغرساً إلى غير ذلك مما فيه صلاح أصول بيت المال، ويتبع الوكيل مشرفون يتابعون تنفيذ الأعمال التي يقوم بها العمّال الذين يعينون لمثل هذه الأعمال، والوكيل على بيت المال يتم تعيينه من قبل الوالي[1].

٥ – **البياديرِ:** والبيدار هو الذي يقوم بسقي النخيل والأشجار والمزروعات، ويقوم بتأبير النخيل وكل ما يتعلق بها من إزالة الكرب والسعف اليابس، وهو لا يأخذ أجراً نقدياً مقابل عمله، وإنما يكون له عذق واحد من كل نخلة، وأما بقية الأشجار والمزروعات الأخرى فحسب الاتفاق بينه ووكيل بيت المال[2].

٦ – **الجنود:** وهم الذين يقومون بالحراسة في مقرات الدولة، وحفظ الأمن في كل ولاية، وهؤلاء الجنود يكونون في أزياء مدنية، ويتم تعيينهم براتب شهري، ويخضعون لوالي الولاية وللقاضي في تلك الولاية، ويقومون بتنفيذ الأعمال التي يكلفهم بها الوالي أو القاضي.

---

١) مقابلة مع خلف بن زاهر الشرياني، وقد ولد المذكور سنة ١٣٤٨ هـ، وعمل مشرفاً للأوقاف وبيت المال في بهلا، وقد أحيل إلى التقاعد، تمت المقابلة في منزله في مدينة بهلا، يوم السبت ٢ محرم سنة ١٤٢٣ هـ – ١٦ مارس ٢٠٠٢ م بعد صلاة المغرب.

٢) خلف بن زاهر الشرياني، مقابلة.

المطلب الثالث: توفير المنتوج الغذائي:

من المعلوم أن توفير الأمن الغذائي مما تحرص عليه الدول لمواطنيها، وذلك بتحقيق وفرة في المنتج الزراعي، وقد كان لبيت المال في عُمان الأثر الطيب في هذا المجال، ولكي يتعرف على الآلية التي يتحقق بها توفر المنتوج الغذائي في الدولة العُمانية، نستعرض أهم المحاصيل الزراعية التي كانت توفرها أصول بيت المال في عُمان كأمن غذائي للبلد وهي:

١ – **التمور:** وتعتبر التمور من أهم الحاصلات الزراعية في عُمان قديماً وحديثاً، ونظراً إلى كون أصول ببت المال في عُمان تحتوي على قدر كبير من النخيل في أماكن متعددة من عُمان، الأمر الذي يجعل من ذلك توفر قدر لا بأس به من التمور، سواء كان رطباً يؤكل في الصيف، أم كان يابساً يؤكل شتاءً، وذلك عن طريق عملية الطناء (بيع التمر على رؤوس النخل) أو بيع التمور يابسة بطرحها في السوق للبيع يومياً وبكمية حاجة السوق[1].

٢ – **الأعلاف:** وأهمها وأبرزها القت (البرسيم)، وهو يستعمل لإطعام الحيوانات، وهو محصول شهري، وتعلّف به الحيوانات التابعة للدولة كالخيل والإبل، وغيره يباع للناس، كما أن لأصول بيت المال الأثر الجيد في توفير الأعلاف عن طريق الأراضي الزراعية التي يتم تأجيرها إلى المواطنين لكي يقوموا هم بدورهم بزراعتها علف البرسيم (القت)، كما أن هناك أنواعاً

---

١) خلف بن زاهر الشرياني، مقابلة.

أخرى من العلف بجانب البرسيم مثل الغشمر والبازري[1] تستعمل أيضاً لإطعام الحيوانات.

٣ – **الفواكه والحمضيات:** وهي أنواع عديدة كانت تزرع في بيت المال، منها الليمون والسفرجل والنارنج والموز والجوافة (الزيتون) والامبا (المانجو) وشجرة الأمبا (المانجو) تم إحضارها من الهند في عهد السلطان فلاح بن محسن النبهاني في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وأول بلدة غرست فيها شجرة المانجو في عُمان هي بلدة مقنيات بمنطقة الظاهرة التي كانت عاصمة لعُمان آنذاك على عهد السلطان المذكور[2].

أما شجرة الموز (البنانا) ففي ظني أنها تم إحضارها من الهند ومن شرق أفريقيا، وذلك لأن بعض أنواع الموز يعرف بالموز السواحلي نسبةً إلى المناطق الساحلية لشرق أفريقيا[3].

وكذلك شجرة جوز الهند، فقد تم إحضارها من الهند[4] على عهد الإمام سيف بن سلطان.

---

١) خلف بن زاهر الشرياني، مقابلة.

٢) السيابي، سالم بن حمود، العنوان، ص ٧٤.

٣) يطلق العمانيون – عرفاً جغرافياً – على المناطق الساحلية لشرق أفريقيا، أرض السواحل.

٤) ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان، ص ٢٧٢.

ونستنتج من ذلك أن هنالك تفاعلاً حضارياً، وتواصلاً تاريخياً بين عُمان والهند، وبين عُمان وشرق أفريقيا.

٤ – **الحبوب والبقوليات:** ويزرع في مزارع بيت المال أنواع من الحبوب والبقوليات، كالقمح والذرة والسلت واللوبياء والمنج والدنجو (الحمص) والعلس، وكانت هذه الأصناف تزرع في مزارع بيت المال سواء كانت تلك الأراضي الزراعية المؤجرة أم كانت تلك التي يقوم بزراعتها عمال وفلاحون تابعون لبيت المال[1].

ذا يعطينا فكرة جيدة عن المستوى الزراعي في عُمان والذي كان يوفر من الغذائي للمواطن العُماني، كما نستنتج من ذلك توجه المواطن العُماني إلى العمل الفلاحي والزراعي.

١) خلف بن زاهر الشرايني، مقابلة.

المبحث الثالث

الأثر الاجتماعي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إعطاء الفقراء

المطلب الثاني: تأليف زعماء القبائل

المطلب الثالث: التعويض عن الأضرار

المطلب الرابع: إصلاح المرافق

المطلب الأول: إعطاء الفقراء:

الوفاء بحاجة الفقير والمسكين أمر قرره الإسلام، وهو مبدا من مبادئ الإسلام، وهو حق ولجب على الدولة تجاه الفقير والمسكين وذي الحاجة (فالإسلام يرى أن الوفاء بحاجة الفقير عمل تلتزم به الحكومة، ويلتزم به الأغنياء، فليس ما يعطى للفقير منحة أو صدقة أو عطاء، وإنما هو حق لازم كالمرتب الذي يتقاضاه الموظف، والأجر الذي يستحقه العامل، ما دام هذ الفقير عاجزاً عن الكسب، أو إذا كانت سبل الكسب غير ميسرة)[1].

وقصة الخليفة عمر بن الخطاب مع تلك المرأة وأطفالها خير دليل على ذلك، حيث خرج ذات ليلة شديدة البرد للعسس، وعندما كان ببعض الطريق إذا هو بنار تشتعل فاقترب منها، فوجد امرأة ومعها صبيان لها، وكانت هنالك قدر منصوبة على النار، والأطفال يبكون، فسلّم عمر على المرأة وسألها عن سبب بكاء أطفالها، فقالت له الجوع، وأنه لا يوجد في القدر المنصوبة على النار سوى الماء الخالي لكي تسكت بذلك الأطفال حتى يغلبهم النوم فيناموا، غير أنها أنحت باللائمة على خليفة المسلمين، فما كان من عمر إلا أن انطلق مسرعاً إلى بيت المال فأخرج منه دقيقاً ودهناً وحملهما على كتفه، وأتى بذلك إلى المرأة وأطفالها، وطبخ لهم بنفسه ذلك الطعام حتى أكلوا وشبعوا

---

١) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٤، ص ٤٤.

فناموا[1]، لذلك كان سد حاجة الفقير والمحتاج من المفردات المهمة في الفكر الاقتصادي في الإسلام.

وهنا يتجلى دور بيت المال في الإسلام، ويظهر أثره جلياً في رفع المعاناة عن الفقراء وأهل الحاجات.

ولقد كان لبيت المال العُماني أثر طيب في هذا الاتجاه، حيث كانت الدولة تقدم المساعدات المختلفة من بيت المال إلى هؤلاء الفقراء، منها ما يكون مساعدات نقدية، بحسب الحال والمال، وقد وجه الإمام محمد بن عبد الله الخليلي سؤالاً إلى الشيخ عامر بن خميس المالكي الذي كان مرجع الدولة، جاء فيه (هل ترى بأساً في إعطاء فقير سائل من الزكاة أو بيت المال؟، وقد مس الناس الضرر من جهة المحل (الجفاف) مع أن الدولة لا سعة فيها وتحتاج إلى حماية ونحوها، وذلك لا يقوم إلا بالمال، فقد شق الحال، إن واسيت الضعفاء بقيت الأمور كما ترى، وإن منعناهم خفنا أن تلحقهم المضرة، وربما أنا نقدر أن ندفع بعضها)[2]، فأجابه الشيخ المالكي بقوله: (الأصل أن الإمام إذا احتاج إلى الزكاة لحماية من يزكيه، فإنفاذها في الحماية أولى، والسائل تدفع ضرورته الحاضرة، وأما أخذ الزكاة ودفعها إلى هؤلاء السائلة الذين لا ضرورة حالة بهم، إني لا أراه، فإن كان لهم حق فالحماية أولى لأنه

---

١) نفس المصدر، ص ٤٦.

٢) فتح الجليل، ص ٢٣٣.

شرط في جواز الأخذ على قواعدهم، هذا في حق الإمام ونحوه فيما يظهر لي)[1].

ويستفاد من النص أنه إذا تزاحمت حاجات الفقراء والضرورة الأمنية لحمايتهم، فإن أولئك الفقراء يعطون بما يدفع عنهم الضرر، لأن الحماية الأمنية من الدولة تجاه مواطنيها أمر لازم، أما إذا لم تكن الضرورة داعية إلى الحماية الأمنية بشكلها الكامل، أو أن هناك إمكانات مالية لبيت المال يستطيع بها دفع حاجات الفقراء وحماية الدولة والمواطن، فإن الأمر يكون أكثر اتساعاً.

وإلى جانب المساعدات النقدية هناك أيضاً توفير للكسوة، وإن كانت المصادر التي بين أيدينا لا تشير إلى كساء الفقراء، فإنه لابد وأن يكون ذلك موجوداً، فالفقير الذي هو بحاجة إلى الغذاء هو أيضاً بحاجة إلى الكساء.

كما كان يتم إعطاء أولئكم الفقراء شيئاً من النخيل التابعة لبيت المال للاستفادة من ثمرها رطباً وتمراً، فعند عملية الطناء (النداء بالمزايدة) يأتي الفقراء إلى المشرف المسئول عن أصول بيت المال ويسأله بعض النخيل مجاناً، وعندما يتحقق المشرف من استحقاق ذلك الرجل لتلك النخيل لفقره وحاجته، يعطيه بعض النخيل لجني ثمارها، ويتم التعرف والتحقق من

---

١) نفس المصدر، ن، ص.

استحقاق الشخص الفقير من المشرف نفسه، أو من والي الولاية أو من الثقات من الناس[1].

أما ذوو العاهات من اهل الفقر والمسكنة فلهم نصيبهم من بيت المال، وذلك من باب الأولى، فإذا كان الفقير العادي له نصيب من بيت المال فلا شك أن ذا العاهة له الأولوية من الرعاية الاجتماعية من بيت المال.

١) خالد بن مهنا البطاشي، مقابلة.

المطلب الثاني: تأليف زعماء القبائل:

تأليف الزعماء والرؤساء وأعيان القوم بالعطاء أصل في الإسلام ومبدأ من مبادئه، وقد جعل الله المؤلفة قلوبهم أحد مصارف الزكاة الثمانية التي نصت عليها آية الصدقة ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة:٦٠].

ولقد أعطى الرسول –صلى الله عليه وسلم– أعطيات جزيلة لبعض الأشخاص لتأثيرهم الاجتماعي في أقوامهم، قال ابن إسحاق: (أعطى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتآلفهم، ويتآلف بهم قومهم)[1].

وأورد ابن إسحاق أسماء الذين أعطوا المئات من الأبل، وأسماء الذين أعطوا العشرات منها[2]، وهكذا كان الحال في عُمان، فإن الحكام كانوا يعطون شيوخ القبائل وأعيان القوم ووجهاء الناس من بيت المال تأليفاً لهم ولأقوامهم

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ١٠١، دار الجيل، بيروت، تعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد.

٢) نفس المصدر، ص ١٠٢ وما بعدها.

(فأقروه- أحد زعماء القبائل- رئيساً على أهل نخل[1]، وأجرى عليه- الإمام- من بيت المال كفايته)[2].

وقد صرح الإمام الخليلي بأن إعطاء الأغنياء والأكابر ما هو إلا لدفع شر أو لجلب خير (وأقول: أما قولك أنا نعطي الأغنياء والأكابر، فنعطيهم والقصد إما جلب خير أو دفع شر، ولنا بالنبي – صلى الله عليه وسلم- أسوة، حيث أعطى صفوان بن أمية ملء واد نعماً، وأعطى المؤلفة وأعطى رجالاً، ومنع من هو خير منهم اتكالاً على دينهم، وقد قال عمر بن عبد العزيز: ما أحيينا سنة إلا ببذل أموال)[3].

ونستنتج من هذا أن الحكم في سهم المؤلفة قلوبهم من الزكاة باقٍ، وإنما يكون ذلك بحسب الظروف الداعية إلى إعطائهم أو منعهم، فقد أعطاهم الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر – رضي الله عنه -، ومنعهم عمر – رضي الله عنه – قائلاً قولته المشهورة: (ذلك عندما كان الإسلام حقياً، أما الآن فقد بزل).

---

١) بلدة عمانية مشهورة، تقع على السفح الشمالي للجبل الأخضر، وتبعد عن العاصمة مسقط حوالي مائة وخمسين كيلومتر.

٢) نهضة الأعيان، ص ٣٥٤.

٣) الفتح الجليل، ص ٦٠.

وهذا المعنى هو الذي يفهم من كلام الإمام الخليلي، حيث أن الدولة على عهده كانت بحاجة إلى الزعماء والأشراف والأعيان، فقد كان يعطيهم العطاء الجزيل، حتى صار ذلك العطاء لهم إلفاً مألوفاً، بل ويرغبون في المزيد عليه (وهؤلاء لهم إعطاءات، ونفع وإعطاءات لا يجتمعان، وأهل عُمان لا يمكن استقامة دينهم وعزتهم إلا مع الاقتصاد، والسيرة المرضية)[1].

كما كان يتم تخصيص عدد من نخيل بيت المال لكي تعطى شيوخ القبائل وأعيان القوم، وهو من باب تأليفهم أيضاً وتأليف أتباعهم، فعندما يحين موعد طناء النخيل (النداء بالمزايدة) يبعث أولئك الزعماء مندوبين عنهم إلى الموقع، وأحياناً يحضرون بأنفسهم إلى هناك لاستلام العدد المخصص لهم من النخيل، حتى صار العدد أو ذلك الجزء من النخيل في بعض الأماكن معروفاً لكل واحد منهم، وعلى جانب العطاء المالي، وتخصيص أعداد من النخيل هناك أيضاً الضيافة، حيث أن أولئك الزعماء كثيراً ما يترددون على الحكام وولاتهم، وبالتالي فهم يحتاجون إلى ضيافة توفر لهم أثناء إقامتهم في زيارة الحاكم أو الوالي أو القاضي، لذلك جاء في الأثر الفقهي (إنما الضيافة على السلطان وعلى عماله في بيت مال الله)[2].

---

١) المصدر نفسه، ص ١٤.

٢) بيان الشرع، ج١٩، ص ٢٨٥.

ونجد تخويل الأئمة لعمالهم بالضيافة يأتي ضمن مفردات عهودهم إلى عمالهم، أو خطابات التعيين، فقد كتب الإمام ناصر بن مرشد إلى أحد عماله (وقد جعلت إطعام الضيف النازل على قدر ماتراه عدلاً)[1].

ويتردد ذكر الضيافة في كثير من مكاتبات الإمام الخليلي إلى عماله[2].

نعم يوجد هنالك من الضيوف من غير زعماء القبائل وأشراف القوم، بيد أن الزعماء والأشراف هم الذين يشكّلون النسبة الكبيرة من مراجعي مقرات الحكام وولاتهم.

١) تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٨.

٢) الفتح الجليل، ص ٤، ص ٧.

المطلب الثالث: التعويض عن الأضرار:

يقوم بيت المال بالتعويض عن الأضرار والخسائر التي يتعرض لها أبناء المجتمع، مثل الأضرار الناشئة عن الجوائح التي تجتاح الزروع والثمار والدواب، والجائحة هي الآفة السماوية كالريح والمطر والحر والبرد والصواعق، وهي القوة القاهرة، ويطلق العُمانيون لفظ الجائحة على الفيضانات المدمرة، حتى أنه لدى العامة منهم صارت حقيقة عرفية فيها.

وقد كانت الوضيعة في الجوائح تثار بين حين وآخر أثناء وقوع الجوائح المتنوعة التي يحصل بسببها التلف في الممتلكات، وهذه المسألة محل خلاف بين المذاهب الإسلامية من قديم، وقد كان الإباضية لا يأخذون بالوضيعة، وإن كان القول بها موجوداً عندهم إلا أنه متروك لم يعمل به، حتى أفتى بوجوب الوضيعة أو الإسقاط الإمام محمد بن عبد الله الخليلي (أما الحط من الجائحة فنظرت في قول القائلين بالإسقاط، والقائلين بعدمه، فرأيت قول القائلين بالإسقاط أرجح دليلاً، والقائلين بعدمه أكثر قيلاً، والأرجح أولى)[1] ولكنه رأى أن الإسقاط يكون عندما تجتاح الجائحة الثلث، أما إذا كان دون الثلث فلا يقال له جائحة[2].

---

١) الفتح الجليل، ص.

٢) وقد أفتى بذلك الشيخ القاضي سيف بن حمد الأغيري قاضي نزوى آنذاك، حيث جاء في فتواه وحكم بها حكماً (بسم الله الرحمن الرحيم، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من

وهذه الوضيعة في جميع الثمار المبيعة سواء كانت للعباد أو للأوقاف أو لبيت المال، وبما أن بساتين النخيل التابعة لبيت المال تشكّل جزءاً لا بأس به من مجموع النخيل في عُمان، فإن الوضيعة أو الحط من ثمن الثمار المبيعة أمر يعتبر تعويضاً من بيت المال في هذا الشأن، ويقوم بيت المال أيضاً بالتعويض عن الخسائر والديون، شريطة أن لا تكون تلك الخسائر أو تلك الديون

الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين). فكان مما ابتلى الله به عباده في نزوى وغيرها وقوع الجائحة على الثمار في النخل خاصة، فذهب من الغلة من الثلث فصاعداً تقديراً، فكان النقص غير متساوٍ في جميع النخل، فقد ذهب من غلة المبسلي معظمها، وكانت الأحاديث الصحيحة دالة على الوضيعة بالجوائح، وقيّدها العلماء بالثلث فصاعداً، (فقد حكمنا بما أدى إليه اجتهادنا وأسقطنا في غلة المبسلي نصف ثمنها، وفي سائر النخل ثلث الثمن، إلا من شاء أن يقبل غلة ماله من الذي أطناه فله ذلك، وإن اتهمه فالحكم بالبينة أو اليمين، وهذا حكم جعلناه منسحباً في أموال العباد والأوقاف وبيت المال) الأغبري، سيف بن حمد، عقد اللآلئ السنية في الأجوبة على المسائل النثرية، ص ٨٠.

وعندما نوقش على هذه الفتوى أو على هذا الحكم، أجاب بجواب مطول مستدلاً فيه بالأحاديث النبوية الدالة على الوضيعة، ومعتمداً على أقوال أئمة المذاهب والعلماء، مثل الإمام مالك بن أنس في قوله بوضعية الثلث، وبالإمام أحمد بن حنبل وأبي عبيد، في قولهما بوضيعة الجميع، وبالإمام أطفيش في قوله بوضيعة القدر المصاب، واستشهد بفتوى الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، انظر نفس المصدر، ص ٦، ص ١٠٨.

والحق أن القول بالحط والوضيعة هو الذي يتماشى مع مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام، وهو الأقرب إلى روح التشريع الإسلامي.

نشأت عن معصية[1]، وقد اعتبر الإسلام أصحاب الخسارة والديون من الغارمين الذين هم أحد مصارف الزكاة الثمانية.

وعلى العموم فإن مصارف بيت المال كثيرة ومتنوعة (تشمل أرزاق القضاة والولاة والعمال فيما عدا عمال الصدقات الذين يأخذون أجورهم منها، وتشمل أرزاق الجند وأسرهم وأرزاق رجال الشرطة، وتشمل مطالب الجنود من أسلحة ومعدات، وتشمل إصلاح الأرض للزراعة، وتطهير المراوي وحفرها، والإنفاق على المسجونين، والمرضى بالمستشفيات، وغير ذلك من شؤون الدولة)[2].

ويدل على هذا التوسع في مصارف بيت المال ما فعله الإمام غسان بن عبد الله، وذلك أن اللصوص وقطاع الطرق أخذوا عبداً من العبيد وذهبوا به إلى بعض البلاد غير العربية، فعمل الإمام على استرداده وبذل من أجله جهوداً، وكلف ذلك العمل بيت مال الدولة أربعة آلاف درهم[3]، وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت، وقد أقرّ العلماء الإمام غسان على هذا الفعل، والظاهر أنهم اعتبروه من واجبات الدولة تجاه مواطنيها وممتلكاتهم، وأنه يدخل في مصارف بيت المال.

---

١) موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٤، ص٢٣٥.

٢) نفس المصدر، ص٢٣٨.

٣) لباب الآثار، ج٦، ص٣٧١، وانظر تحفة الأعيان، ج١، ص١٣٠.

المطلب الرابع: إصلاح المرافق:

إصلاح المرافق العامة، من مصاريف بيت المال في الإسلام (فمنه تدفع الرواتب والعطاءات، وتحمى الثغور وتحفر الآبار والترع، وغير ذلك من شؤون الدولة)[1].

لذلك نجد أن من معالم الحضارة الإسلامية إصلاح المرافق العامة، كإصلاح الطرق، وحفر الآبار، وتهيئة المقابر إلى غير ذلك مما يعم نفعه جميع أبناء المجتمع.

ولقد كانت عناية بيت المال العُماني بهذه الأمور كبيرة، حيث قام أبو زيد عبد الله بن محمد الرياي، عامل الإمامين سالم بن راشد الخروصي، ومحمد بن عبد الله الخليلي[2] على ولاية بهلى، بإصلاح مختلف المرافق العامة من بيت المال، فهو قام بإصلاح الطرق، وجعلها سالكة آمنة، تسهيلاً لحركة الناس، حتى لا يجدوا مشقة فى ذلك[3].

كما أمر بحفر المقابر وتهيئتها للموتى، وتوفير كل المستلزمات لذلك كالأكفان وغيرها لمن لم يجد كفناً، لأن الكثيرين في الماضي كانوا لا يجدون

---

١) موسوعة الحضارة الإسلامية، ج٤، ص٢٣٥.

٢) تقدم التعريف بهؤلاء.

٣) نهضة الأعيان، ص٤٢٢.

كفناً، لذلك كان تدخّل بيت المال لتوفير ذلك أمراً جيداً، وهو واجب ديني، وتكافل اجتماعي، عملاً بالحديث الشريف (حرمة موتانا كحرمة أحيانا)، وإذا كان بيت المال وفرّ كسوة الأحياء، فهو أيضاً قام بتوفير كسوة الموتى[1].

وكان هنالك أيضاً عناية بآبار الشرب، فقد قام الوالي المذكور بحفر آبار يشرب منها الناس، لا سيما في القفار والصحارى، وعلى الطرق الطويلة التي تكون مظنة الهلاك إذا لم يتوفر للمار الماء لشربه واستعماله، ولم يكتف المذكور بذلك، بل هيأ عمالاً يشتغلون بتوفير الدلاء والحبال وكل الوسائل التي تعمل من أجل إخراج الماء من تلك الآبار[2].

على أنه وإن كان قد شهد التاريخ الحضارى الإسلامي مثل هذه الأعمال في بلدان أخرى عبر المراحل التاريخية المختلفة، إلا أن الذي يعجب له المرء ويثير فيه الإكبار والإجلال لهذا الوالي المثالي هو أنه جعل مكافآت مالية من بيت المال لمن يقوم بقتل الهوام، والحشرات والسباع[3]، ويحدثنا خلف بن زاهر الشرياني[4] وهو الذي نشأ وعاش بداية حياته مع الشيخ أبي زيد الريامي،

---

١) نفس المصدر، ن، ص.

٢) نفس المصدر، ن، ص.

٣) المصدر نفسه، ص٤٢٣.

٤) تقدم التعريف به.

عن تلك المكافآت ومقدارها، فيقول: إن الشيخ أبا زيد جعل المبالغ التالية لمن يقتل الأشياء التالية:

- الزنبور = بيسة واحدة[1]
- الأفعى الكبيرة = نصف قرش[2]
- الأفعى الصغير = ربع قرش
- الفأر = سبع (٧) بيسات
- الطير الضار = سبع (٧) بيسات

إن هذا العمل ليعتبر في رأيي الشخصي توجهاً حضارياً رائداً يستحق الذكر والشكر والتقدير.

---

١) البيسة: عملة معدنية تعادل الفلس، وكلمة بيسة هي كلمة هندية.

٢) القرش: عملة فضية نمساوية، تزن سبعة مثاقيل، وقد قدرت قيمته عند ظهور العملة الورقية (الريال العماني) = (٢) ريال = ٥.٢ دولار أمريكي، وقد اختفى التعامل به في وقتنا الحالي، أما الحقوق الموثقة به فإنه في حال الوفاء تقدر بالتقدير المذكور، وأرى أنه من الأنسب أن يكون الوفاء بقيمة الفضة التي يتكون منها القرش، وهي سبعة مثاقيل، والمثقال = ٤.٢٥ جراماً، أي أن القرش = ٢٩.٧٥ جراماً.

الخاتمة

جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة فصول، وقد تبين لنا مما مر الأهمية التي يحتلها بيت المال في الإسلام، لكونه آلية من الآليات الإسلامية لحفظ أموال المسلمين وحقوقهم المالية لدى الدولة، لذلك كان شأنه عظيماً باعتباره إطاراً فاعلاً من أطر هيكلة الدولة في الإسلام، ولقد اقتضت الضرورة، ضرورة الدولة وضرورة الحياة الإسلامية وجوده، فبعد أن تكونت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بعد هجرة النبي المصطفى -عليه الصلاة والسلام- إليها، وأذن الله لنبيه والمسلمين بالقتال دفاعاً عن سيرورة الدعوة الإسلامية إلى قلوب الناس لقوله عز من قائل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩]، بعد أن كانوا يؤمرون بالكف عن القتال، والأمر بإقامة الصلاة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٧٧]، فكان من نتائج هذا كله وجود الفيئ والغنائم لدى المسلمين، وكان مسجده -عليه الصلاة والسلام- وداره المكان الذي شهد تكون الإطار المالي الذي عرف بعد ذلك ببيت المال.

وشاء الله للدعوة الإسلامية أن تمتد خارج جزيرة العرب، ويحمل أولئك المسلمون الأوائل شعلتها الحضارية إلى شعوب غير شعوبهم، وإلى بلدان غير

بلدانهم، فإذا بهم يتعاملون مع شعوب مختلفة، ويحكمون آفاقاً واسعة فيها من الثراء والسعة الشيء الكثير.

وانفتحت لهم الأقاليم، فإذا بأراضي الخراج كالسواد وغيرها تتراءى أمام أنظار الصحابة خصبة جميلة، الأمر الذي جعل بعضهم يطالب بقسمتها على المجاهدين الفاتحين، لولا وقوف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بحزم ضد هذا الرأي المطالب.

وهكذا اعتبر الخليفة الفاروق –رضي الله عنه– هو العمدة والمرجع في تأطير وتأصيل الشؤون المالية في الإسلام، ولعلي لا أبالغ إذا قلت أنه ليس هناك بند من بنود المالية في الإسلام إلا ومرجعه هذا الخليفة العظيم جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولما كانت عُمان جزءاً من جزيرة العرب، فقد بادرت إلى الدخول في الإسلام من غير قتال ولا نزال، ولما كانت هنالك حامية فارسية اتخذت من مدينة صحار العُمانية مركزاً لها، فقد دعاهم العُمانيون إلى الدخول في الإسلام، فما كان منهم إلا الرفض والامتناع، الأمر الذي حمل العُمانيين على قتالهم وإخراجهم من عُمان فخرجوا تاركين دورهم وأموالهم، التي اعتبرت صافية لبيت المال في عُمان.

وكان هذا الأمر بداية تشكيل بيت المال في عُمان بجانب جباية الصدقات، ثم أخذت تتوسع أصوله وتتعدد روافده، وأصبحت هذه الأصول معالم حضارية، كان لها دورها الحيوي في استمرار الدولة الوطنية العُمانية، وكان لها

أثرها الحضاري المتعدد الجوانب إزاء التصرف فيها، حيث ذكرنا في هذا البحث ما قاله أولئك السادة العلماء من عدم جواز بيعها، إلا في حال الضرورة القصوى، وهي إذا عنى المسلمين حرب، وخيف على ذهاب الدولة والدين، بجانب أقوال أخرى تم ذكرها في البحث، وكلها تدعو إلى التشدد إزاء التصرف في تلك الأصول بما يخالف مصلحة بيت المال، وعدم التساهل في ذلك، ونستنتج من هذا إحساس أولئك العلماء الأجلاء بأهمية أصول بيت المال، في سبيل بقاء الدولة، وإن المحافظة عليها هي محافظة على الدولة، وفي رأيي أنه إذا ما كانت هنالك دراسة للدكتوراه، فأرى التوسع فيها من حيث أوصافها وحصرها والأحكام الشرعية حيالها ولا شك أن وجود مؤسسة بيت المال في الإسلام نابع من العدالة والمساواة اللتين هما الأصل الأصيل والركن الشديد في الإسلام، وذلك لحفظ حقوق المسلمين وضمان اجتماعهم، وتحقيق أمنهم..

كما أنه من المناسب أن نشير بالذكر إلى الفرق بين وظيفة بيت المال ووظيفة الأوقاف، حتى لا يكون هناك خلط بين وظيفتي كل منهما، وهي أن وظيفة بيت المال تتعلق بالدولة فقط تتصرف فيه حسب مصالحها، وبما يخدم أمنها، ويحقق بقاءها، أما وظيفة الأوقاف فهي تصرف لما وقفت من أجله خاصة، والأوقاف عندنا في سلطنة عُمان كما هي في غيرها من البلاد الإسلامية، خدماتها واسعة حيث تغطي جوانب عديدة من جوانب الحياة الإسلامية كالتعليم والعبادة والصحة، ومواساة أهل الحاجات، ومساعدة

ذوي العاهات إلى غير ذلك من الأمور الحضارية والاجتماعية، ولا ريب أن الأوقاف قامت بدور ريادي في هذه المجالات عبر العصور الإسلامية.

ولعلي لا أبالغ إذا قلت إن مؤسسة بيت المال في الإسلام من أهم مؤسسات الحضارة الإسلامية، نظراً لما كان لها من أثر مهم في الحفاظ على كيان الدولة أولاً، وفي المحافظة على هوية الأمة الإسلامية الحضارية ثانياً، وذلك لشمول مصارفها على العديد من الجوانب فكرياً، وعسكرياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وهي ولا ريب قادرة على العطاء الحضاري حاضراً ومستقبلاً - إن شاء الله تعالى -.

وهي أيضاً قابلة للتجديد والتطوير بما يكفل لها الاستمرارية.

وأقترح في سبيل ذلك أمرين اثنين هما:

١ – أن يكون هنالك تطوير في الأساليب الزراعية، وفق التقنيات المتطورة، حتى تؤتي أصول بيت المال ثمارها الجيدة كل حين بإذن ربها، وتطوير الأداء الإداري تجاهها من حيث الخبرة الفنية، أشخاصاً ووسائل.

٢ – أن تضاف إلى أصول بيت المال الحالية، أصول أخرى، على أن تكون هذه الأصول المضافة، أصولاً عقارية كبنايات ومحلات تجارية مثلاً، سواء كانت تنشئها الدولة، أو يتبرع بها الأثرياء، ليكون ريعها في خدمة الأصول الزراعية، لا سيما وأن هذه الأصول – أي الأصول الزراعية – ليس بها دخل مادي كاف في وقتنا الحالي، لذلك فإن وجود أصول عقارية متنوعة كيفاً، ومتعددة كماً، لا شك أنه يخدم بعضها بعضاً، لتكون هذه المؤسسة

الحضارية الرائعة في تاريخ حضارتنا الإسلامية قادرة على العطاء، وقادرة على البقاء والاستمرار بإذن الله تعالى.

فهرس المصادر والمراجع

١ - ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ م.

٢ - ابن بركه، عبد الله بن محمد، الجامع، ١٩٧٤ م، تحقيق عيسى يحي الباروني.

٣ - ابن رجب، عبد الرحمن بن محمد الحنبلي، الاستخراج من أحكام الخراج، دار المعرفة، بيروت - لبنان، سنة الطبع غير مذكورة.

٤ - ابن رزيق، حميد بن محمد:

- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، الطبقة الخامسة، ٢٠٠١ م، تحقيق عبد المنعم عامر، د. محمد مرسي عبد الله.

- الشعاع الشائع باللمعان، في ذكر ائمة عُمان، وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان، ١٩٧٨ م.

٥ - ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية، والدول الإسلامية، دار القلم، حلب - سورية، تحقيق عبد القادر محمد مايو.

٦ - ابن هشام، عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٧٥ م، تعليق وضبط طه عبد الرؤوي سعد.

٧ - أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٨٨ م، تحقيق محمد خليل هراس.

٨ - أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤ م تحقيق القاضي، محمود الباجي.

٩ - الإدريسي، محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس، المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩ م.

١٠ - آدم، يحيى، الخراج، دار المعرفة، بيروت - لبنان، تاريخ الطبع غير مذكور.

١١ - الأزكوي، سرحان بن سعيد، تاريخ عُمان المقتبس من كشف الغمة، دار الدراسات الخليجية، التاريخ والمكان غير مذكورين، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي.

١٢ - أطفيش، محمد بن يوسف، شرح النيل، وشفاء العليل، مكتبة الإرشاد، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م.

١٣ - الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣ م.

١٤ - الأنصاري، الدمشقي، محمد بن أبي طالب المعروف بشيخ الربوة، نخبة الدهر، وعجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٨ م.

١٥ - البحراني، خلف بن زياد، مجموع سير المسلمين، مخطوط.

١٦ - البطاشي، سيف بن حمود:

- الطالع السعيد، نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- إتحاف الأعيان، في تاريخ بعض علماء عُمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، سلطنة عُمان، مسقط، ١٩٩٢ م.
١٧ - البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
١٨ - البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
١٩ - جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا، ١٩٦٧ م.
٢٠ - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، ودار صادر للطباعة والنشر، ١٩٧٩ م.
٢١ - الخضري، محمد بك:
- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، تاريخ الطبع غير مذكور.
- تاريخ التشريع الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٥ م
٢٢ - الخليلي، محمد بن عبد الله، الفتح الجليل من أحوبة الإمام أبي خليل، المكتبة العمومية، دمشق، ١٩٦٥ م، الناشر: سالم بن حمد الحارثي

٢٣ - الريس محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧ م.

٢٤ - الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢ م.

٢٥ - السالمي، عبد الله بن حميد:

- تحفة الأعيان، بسيرة أهل عُمان، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عُمان، تاريخ الطبع غير مذكور.

- معارج الآمال، على مدارج الكمال، وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان، ١٩٨٣ م.

- جوهر النظام، في علمي الأديان والأحكام، الناشر، سالم بن سعيد الأزكوي الحاضي العُماني، تاريخ الطبع غير مذكور.

٢٦ - السالمي، محمد بن عبد الله، نهضة الأعيان، بحرّية أهل عُمان، الناشر، سليمان وأحمد ابنا محمد السالمي، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، تاريخ الطبع غير مذكور.

٢٧ - السيابي، سالم بن حمود، العنوان، عن تاريخ عُمان، تاريخ الطبع غير مذكور.

٢٨ - السيار، عائشة، دولة اليعاربة في عُمان وشرق أفريقيا، دار القدس، بيروت - لبنان، ١٩٧٥ م.

٢٩ - شحاته، عبد الله محمود، علوم القرآن، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م.

٣٠ - الشريف الجرجاني، على بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥ م.

٣١ - الشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين، وبلاغ الراغبين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي.

٣٢ - شلبي، أحمد، موسوعة الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصري، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٣ م.

٣٣ - عبد العال الصكبان، مقدمة في علم المالية العامة، وزارة المالية، العراق، ١٩٧٦ م.

٣٤ - عبدواني، صادق حسن، الدولة العُمانية، نشأتها وتطورها، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٨٠ م.

٣٥ - العبري، بدر بن سالم، البيان في بعض أفلاج عُمان، طبع بالمطابع الذهبية، مسقط، سلطنة عُمان، تاريخ الطبع غير مذكور.

٣٦ - العقاد صلاح / وجمال زكريا قاسم، زنجبار، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ١٩٥٩ م.

- العوتبي، سلمة بن مسلم الصحاري:

- الابانه، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٩٩ م.

- الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٩١ م.
٣٧ - الغنيم، عبد الله يوسف، جزيرة العرب، مأخوذة من كتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، ذات السلاسل، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، ١٩٧٩ م.
٣٨ - الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ترتيب الطاهر الزاوي، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
٣٩ - القلقشندي، أحمد بن علي، أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م.
٤٠ - الكتاني، عبد الحي، نظام الحكومة الإسلامية المسمى التراتيب الإدارية، تاريخ ومكان الطبع غير مذكورين،
٤١- الكندي، أحمد بن عبد الله، المصنف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٧٩ م.
٤٢ - الكندي، محمد بن إبراهيم، بيان الشرع، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٨٤ م.
٤٣ - الماوردي، علي بن حبيب، الأحكام السلطانية، والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٥ م.
٤٤ - مجموعة من العلماء، السير والجوابات، سيده إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٨٦ م.

٤٥ - مجموعة من الباحثين، عُمان في التاريخ، وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، دار أميل للنشر، لندن، ١٩٩٥ م

٤٦ - المصري، عبد السميع، مقومات الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٨٣ م.

٤٧ - المغيري، سعبد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٧٩ م.

٤٨ - المقدسي، محمد الشافعي، المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء العربي، بيروت - لبنان، ١٩٧٨ م.

٤٩ - النصيبي، أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ١٩٩٢ م.

٥٠ - النواوي، عبد الخالق، النظام المالي في الإسلام، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م.

٥١ - وزارة الإعلام، سلطنة عُمان:

- عُمان، ٨٨.

- عُمان، ٩٢.

٥٢ - وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، دائرة بيت المال.

٥٣ - وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، استرجع التاريخ، نشره.

٥٤ - وزارة التربية والتعليم، سلطنة عُمان، التربية الوطنية للصف الثالث الإعدادي.

٥٥ - الهمداني، أحمد بن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٨ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول: دولة البوسعيد: السياق والخصوصيات	١٣
المبحث الأول: تمهيد	١٩
المبحث الثاني: العوامل التي أدت إلى قيام دولة البوسعيد	٢٧
المطلب الأول: اختلاف اليعاربة	٢٨
المطلب الثاني: نهاية دولة اليعاربة	٣٥
المبحث الثالث: قيام دولة البوسعيد	٤١
المطلب الأول: الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي	٤١
المطلب الثاني: التحولات السياسية والاجتماعية	٥٥
المطلب الثالث: الخصائص الحضارية	٦١
الفصل الثاني: أصول بيت المال	٧٩
المبحث الأول: نشأة بيت المال في عُمان	٨١
المطلب الأول: التعريف والنشأة	٨٢
المطلب الثاني: روافد بيت المال في عُمان	٩١
المطلب الثالث: أصول بيت المال	١٠٥

المبحث الثاني: الطرق التي تكونت منها أصول بيت المال في عُمان	١١٢
المطلب الأول: الطريقة الأولى: أموال الفرس	١١٣
المطلب الثاني: الطريقة الثانية: التغريق (التأميم)	١١٧
المطلب الثالث: الطريقة الثالثة: الصول مجهولة الأرباب	١٢٧
المبحث الثالث: السوافي: أحكامها وأقسامها	١٣١
المطلب الأول: تعريفها وحقيقتها	١٣٢
المطلب الثاني: أحكامها	١٢٨
المطلب الثالث: أقسامها	١٤٣
الفصل الثالث: الأثر الحضاري لأصول بيت المال في عُمان	١٤٧
المبحث الأول: الأثر التربوي:	١٤٨
المطلب الأول: المساجد وعمارتها	١٤٩
المطلب الثاني: تعليم القرآن	١٥٢
المطلب الثالث: تدريس العلوم الشرعية	١٥٨
المبحث الثاني: الأثر الاقتصادي	١٦٥
المطلب الأول: تمويل خزينة الدولة	١٦٦
المطلب الثاني: إيجاد فرص العمل	١٧٢
المطلب الثالث: توفير المنتوج الغذائي	١٧٦
المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي:	١٧٩

المطلب الأول: إعطاء الفقراء	١٨٠
المطلب الثاني: تأليف زعماء القبائل	١٨٤
المطلب الثالث: التعويض عن الأضرار	١٨٨
المطلب الرابع: إصلاح المرافق	١٩١
الخاتمة	١٩٥
فهرس المصادر والمراجع	٢٠١